الدكتور عزت السيد أحمد

انهيار قيم المعارضة العربية

CRUMBLE OF
ARAB OPPOSITION
VALUES
Political Study
By Prof. Dr.
Ezzat Assayed Ahmad

دراسات سياسية

2015

العالم العربي
The Arab World
for Publishing

الدكتور عزت السيد أحمد

الدكتور عزت السيد أحمد

انهيار قيم المعارضة العربية

بسم الله الرحمن الرحيم

الدكتور عزت السيد أحمد

الدكتور عزت السيد أحمد

انهيار قيم المعارضة العربية

العالم العربي
The Arab World
for Publishing

☆ الكتاب : **انهيار قيم المعارضة العربية**

☆ الموضوع: **دراسات سياسية.**

☆ المؤلف : **الدكتور عزت السيد أحمد.**

☆ عدد الصفحات: ١١٢ صفحة.

☆ قياس الصفحة: ب ٥ = ١٧ X ٢٤.

☆ النَّاشر: **العالم العربي للنشر.**

☆ **عمان.**

☆ الطبعة الأولى: **٢٠١٥م.**

☆ **تاريخ: ٢٠١٥/١١/١ م.**

☆ تصميم الغلاف بريشة بيلسان.

☆ **الحقوق جميعها محفوظة.**

تمنع طباعة هٰذا الكتاب أو نشره، أو فصل منه، من دون موافقة خطيَّة من النَّاشر أو المؤلف. ويجب مراعاة أصول الاقتباس والتوثيق لدى اقتباس أي نصوص أو شواهد من الكتاب.

☆ بريد إلكتروني : **sameah3@gmail.com**

الإهداء

إلى الثورة السورية

التي عمّرت الجميع تماماً

مُقدِّمة الكتاب

تستمدُّ المعارضة مشروعيتها من حق الوجود، والديمقراطية، مع التَّحفظ على مفهوم الديمقراطية، ومن حق الاختلاف مع ضرورة الاختلاف، وضرورة الوجود لما يجب أن يثمره من نتائج يصعب تحققها من دون وجود معارضة من قبيل إثبات مشروعية السلطة، ودفع حركة التقدم الاجتماعي والسياسي، وتفعيل الحراك والحياة السياسية والاجتماعية والاقتصادية...

وجود هٰذه المعارضة ومشروعيته يقوم على أصول وضوابط وشروط ولا يجوز بحال من الأحوال أن يكون منفلتاً على الأهواء والميول الشخصية أو الفئوية العرقية أو الطائفية أو غيرها. هٰذه الضوابط ليست تقييداً للحرية وإنما هي تحديد للهوية، أصلاً لا توجد حريَّة مطلقة، والقول بحرية مطلقة وهم وخبل حقيقيٌّ.

الانتماء شعور تلقائيٌّ يعيشه الناس عامَّة وعامَّة الناس. وهو في محض الشُّعور التَّلقائي أَو العفوي به حريٌّ بعامَّة النَّاس لا بالنَّاس عامَّة، ولذلك كانت

المعارضة أَو الفكر المعارض عَبْرَ التَّاريخ خاصَّة بفئةٍ من النَّاس لا بكلِّ النَّاس هم الذين ارتقوا بانتمائهم من الانتماء اللاشعوري المحض إِلَى الانتماء الواعي، أَو وعي الانتماء.

وعي الانتماء لا يكتفي بتلقِّي العناصر المكوِّنة لذاته والرُّضوخ لها من دون أن يناقش حقائقها وأبعادها وصوابيَّاتها، بل يعود بفاعليَّته إلىٰ هٰذه العناصر لينتقل بانتمائيَّته من الإلزاميَّة والقسريَّة إلىٰ الإراديَّة، ولينتقل بذاته من الانفعال إلىٰ الفعل. ومن محض اندراجه في بنيته الانتمائيَّة إلىٰ إدراج بنيته الانتمائيَّة في ذاته... الأمر الذي يجعله يندفع بكلِّ مَلَكَاتِهِ وطاقاته ومواهبه لتعزيز هٰذا الانتماء وخدمته والارتقاء به والاحتماء به والذَّود عنه.

تقبل الآخر والاعتراف بحقِّه في الوجود لا ينفصل علىٰ وعي الانتماء والعمل بمقتضاه، والاعتراف بالآخر وبحقِّه في الوجود أمرٌ منوطٌ بمستوى الوعي الحضاري للمجتمع والأمَّة، ومكانتها علىٰ سلَّم الرُّقي والتَّمدن، فكلَّما ارتقت الأمَّة أكثر، وكانت متحضِّرَةً أكثر تحقَّقت مناخات الاعتراف بالآخر وبحقِّه في الوجود، وكلَّما كان المجتمع متخلِّفاً كان أبناؤه أميل إِلَى التَّقوقع والانغلاق وعدم الاعتراف بالآخر وبحقِّه في الوجود. وهذه مسألةٌ من الضَّروري الانتباه إليها وأخذها بعين النَّظر والحسبان.

الفكر المعارض فكرٌ تاريخيٌّ عرفته الشُّعوب كلُّها، وربَّما من دون استثناءٍ، وتاريخ البشريَّة هو تاريخٌ صاعدٌ بفعل الصِّراع الدَّائم بَيْنَ التَّقليديِّ المدرسيِّ الاستقراريِّ، والاعتراض على الفكر السُّكوني، أَو الفكر السَّائد الذي هو فكرٌ سكونيٌّ أَو استقراريٌّ بمعنى من المعاني.

وبهذا المعنى يجب القول إنَّ المعارضة تستمدُّ مشروعيَّتها من مشروعها في الوصول إلَى مصلحة المجتمع والأمة، مثل السلطة تماماً التي تستمدُّ كذلك مشروعيتها من أنَّها اختيرت أَو قُبلت لتحقيق مصالح المجتمع والأمَّة.

وبهذا المعنى أيضاً التَّنافس بَيْنَ مختلف أطياف الممارسة السِّياسيَّة على تحقيق مصالح المجتمع والأمَّة هو أحد أبرز مسوغات وضرورات وجود المعارضة.

وبهذا المعنى أيضاً فإن المعارضة هي مؤشِّر تعدُّدية سياسيَّة أَو تعدديَّة حزبيَّة، ومشروعيَّة المعارضة تعني مشروعيَّة التَّعدديَّة السِّياسيَّة.

في ظل ذَلكَ كله ثَمَّة شرط لا يمكن الاستغناء عنه أبداً وهو ضرورة تحديد الهويَّة والإفصاح عنها وإعلانها حَتَّى يمكن معرفة شخصيتك الَّتي تعارض بها، ومدى مسؤوليتك، وصلتك بالتَّيَّار الذي تمثِّله، وصلة التَّيَّار الذي تمثِّله بك... إنَّ تحديد الهويَّة مسألةٌ حاسمةٌ وضروريَّةٌ في الممارسة السِّياسيَّة عامَّةً سواء أكانت معارضةً أَم مناصرةً.

ولٰكنَّ المشكلة الكبرى والأخطر التي لم تكن لتخطر في البال أبداً هو أن تكون المعارضة العربية أخطر خنجر ينغرس في صدر الشعب العربي وتطلعاته إلىٰ الحرية والديمقراطية. دعاة الحرية والديمقراطية علىٰ مدار عشرات السنين الماضية تحولوا إلىٰ أشد أعدائها ووقفوا مع الأنظمة العربية في قمع رغبات الشعب في الحرية والديمقراطية.

قد يكون في الرَّبيع العربي بعض نقاط استفهام، ولٰكنَّ الحقيقة التي لا تقبل النِّقاش أنَّ الثَّورات العربيَّة هي ثورات علىٰ الظُّلم والطُّغيان والاستبداد

والفساد وامتصاص دماء الشعوب. هٰذه حقيقةٌ لا تقبل الشَّك، حقيقة الحراك الثَّوري في تونس ومصر واليمن وليبيا وسوريا وفيما سيأتي من دول علىٰ الطَّريق. هناك بعض تداخلات خارجيَّة ولٰكنَّهَا لا تصل أبداً إلىٰ المستوي الذي يفقد الثَّورة مصادقيتها بحال من الأحوال.

ومع كلِّ الوضوح الذي يفقأ عين أي منكرٍ أو جاحدٍ وقف اليسار العربي موقفاً مخزياً إلىٰ أبعد الحدود ضدَّ هٰذه الثَّورات. في حين أنَّ الشَّارع العربي كان ينتظر منهم أن يكونوا في طليعة الثَّائرين، كما يصورون أنفسهم، وإن لم يكن كذٰلكَ ففي طليعة المساندين والمؤازرين.... فإنَّهُم لم يكتفوا بعدم تحقيق أيٍّ من المتوقع منهم، بل إنَّهُم لم يكتفوا بالصَّمت وهو أضعف الإيمان وإنما وقفوا ضدَّ الثَّورات موقفاً فاجراً لا يقلُّ فجوراً أبداً عن موقف النِّظام وإعلام النِّظام وأبواق النِّظام. وراحوا يردِّدون ذرائع النِّظام ذاتها بالطَّريقة ذاتها في اتِّهام الثَّورات في مختلف بقاع الوطن العربي.

عندما انطلقت الثَّورة سكتوا!!!

وبعد تقدُّم الثَّورة وقفوا إلىٰ جانب النِّظام!!!

ومنذ فترة بدأوا يفاوضون باسم النِّظام!!!

وفوق ذٰلكَ كلِّه هم مفوَّضون من النِّظام!!

وفي البلدان التي انتصرت فيها الثورات وقفوا ضد خيارات الشعب وحاربوا نتائج الديمقراطية وأعادوا إنتاج الأنظمة التي ثارت الشعوب عليها.

كان يبدو أنَّ النفاق أساس هٰذه المواقف ولذٰلك سكتوا في بداية الثَّورة ليعرفوا إلىٰ أين ستميل الكفَّة، ويعرفوا أين يقفون وماذا يفعلون من أجل تحصيل المغانم الأكبر والمكاسب الأعظم، وعندما تقدَّمت الثَّورة خطوةً بعد خطوة وجدوا

أنَّ حصَّتهم أقلَّ من طمعهم ولذلك وقفوا مع النِّظام قلباً وقالباً وظلوا يبعبعون ضدَّ النِّظام بما لا يثير غضب النِّظام عليهم.

ما إنْ أشرقَتْ شمسُ الرَّبيع في عالمنا حَتَّىٰ انكشفت كلُّ الأوراق بوضوح:

اكتشفنا أنَّ المفكِّر الحرَّ هو أكثر الخلق عشقاً للعبوديَّة!!!

اكتشفنا أنَّ القوميين العرب أشدَّ أعداء القوميَّة العربيَّة!!!

اكتشفنا أنَّ من كانوا يدعون إلىٰ الموضوعيَّة هم أشدُّ أعدائها!!!

اكتشفنا أنَّ أعداء إسرائيل الظَّاهرين هم عبيدها وعملاؤها الحقيقيون!!!

اكتشفنا أنَّ من يدعون إلىٰ احترام الرأي الآخر هم من يرفضون الآخر!!!

اكتشفنا أنَّ العلمانيين لا يعرفون من العلمانيَّة إلا ما يحارب الدين!!!

اكتشفنا أنَّ من قادوا الممناعة والمقاومة هم ما يحارب المقاومة الحقيقيَّة ويمنعها ويقف سداً منيعاً أمام إسرائيل!!!

اكتشفنا أن كثيراً من اللصوص يلبسون ثياب شرفاء!!!

اكتشفنا أنَّ كثيراً ممن كانوا يبيضون علينا الوطنيَّة خونة وعملاء!!!

اكتشفنا الكثير الكثير مما يطير العقل أعلى تطيير!!!

لك الله أيُّها الرَّبيع العربيُّ

كم من الجبال جعلتها دكًّا وصارت رماداً

بفضل الرَّبيع العربي:

رجال كثيرون تبين أنَّهُم نسوان!!!

وطنيون كثيرون تبين أنَّهم خونة!!!

معارضون كثيرون تبين أنَّهم عناصر مخابرات!!!

لك الله أيها الرَّبيع العربي كم (شلَّحتَ) أناساً ثيابها!!!

عشرات السِّنين ونحن ننتظر صحوة العرب.

صحا من صحا ومن صحا عاد للنَّوم بعد أن صحا.

ومن لم يصح لن يصحو.

وستنتظر الأجيال القادمة عشرات السِّنين لترى مثل هٰذه الفرصة ولا ندري هل سيكون الشَّعب العربيُّ أهلا لها أم لا؟!

هٰذا ليس تشاؤماً.

هٰذه مشكلتنا مع المثقفين العرب والمعارضين العرب كليهما. كلاهما يمارس هٰذه الازدواجيَّة بل الفصاميَّة إذا أحسنا الظنَّ. إذا أحسنا الظن في المثقف العربي والمعارض العربي فغننا نقول إِنَّهُ يعاني من حالة انفصام شخصيَّة. ولٰكنَّ يبدو أَنَّهُ ليس كذٰلكَ، يبدو أَنَّهُ صناعة مخابراتيَّة لتسويق الأنظمة، وعند الحاجة تعود إلىٰ عملها الحقيقي؛ مخبرين مهمتهم قمع الشَّعب.

الفصل الأول

أصول المعارضة السياسية

إمَّا أنَّهُم ديكورات للسلطة يمنحونها الشرعية ويتنافقون لها أكثر من الجميع أو أنَّهُم موظفون عند السلطان للقيام بتمثيل دور المعارضة من أجل أشياء كثيرة منها في خدمة السلطة والسلطان.

مـــن يتحـــدَّث فـــي المعارضـــة وأصـــولها وضـــوابطها ومعاييرهـــا ســـيخرج مـــن الجلســـة وهـــو فـــي نظـــر المســـتمعين إمَّـــا أَنَّـــهُ معـــارضٌ يســـتحقُّ التَّقـــدير أَو أَنَّـــهُ مـــن مثقَّفـــي السُّـــلطة والمتنفـــذين منهـــا أَو المســـتفيدين مـــن مكاســـبها... ورُبَّمـــا يصـــعب أن توجـــد منطقـــة وســـطى مـــا بَـــيْنَ الجنة والنار[1].

مقدمة

هنا تبدأ المشكلة، وهٰذا هو مفتاحها... وهي مشكلةٌ موجودةٌ في راهننا في عالمنا العربي خاصَّة والشَّرقي عامَّة، أي فيما يسمَّى العالم الثالث، وليست موجودةً، في حدود علمي، في الدُّول الغربيَّة؛ إنَّها عقليَّة الـ (مع) والـ (ضدَّ)، وكلُّ من هو معي فهو على صواب وكلُّ من هو ضدِّي فهو علىٰ خطأ.

بدايةً أنا لا أنطلق من أيٍّ من الموقعين، أنا لي فلسفتي ومنظومتها الفكريَّة الَّتي تقوم علىٰ جملةٍ من المبادئ والأوليَّات والأفكار والمنهجيَّة. وفلسفتي هٰذه

(١) ــ أنجز هٰذا الفصل في ٢٠٠٤/٣/٢٠م للإلقائه في محاضرة في المركز الثقافي في المزة بدمشق في ٢٠٠٤/٣/٢٨م، ولٰكنَّ المحاضرة لم يتم إلقاؤها بسبب اعتقالي صباح يوم المحاضرة. أنشرها هنا كما هي تماماً في وقت إنجازها. كان من المفترض في مشروعي أن تستكمل هٰذه المحاضرة لتكون كتاباً تحت العنوان ذاته، ولٰكنَّ المشاغل لم تستمح في حينها حَتَّىٰ كان الربيع الذي جعلها فصلاً أولاً من هٰذا الكتاب.

فلسفةٌ وليست أيديولوجيا، وإن كان من الصُّعوبة بمكانٍ الفصل بَيْنَ الفلسفة والأيديولوجيا، وفلسفتي هٰذه هي الَّتي تحدِّد مواقفي وأفكاري... ومن ثَمَّ ليس يعنيني بكثيرٍ أَو قليلٍ أن تنسب أفكاري أو أنسب أنا إِلَى المعارضة أَو السُّلطة لأنَّ ما يعنيني هو انتسابي إلىٰ مجتمع أمتي، وإيماني بمكونات هويَّة أمتي، ومواطنيتي، في دولتي الَّتي هي جزءٌ من دولٍ تشكِّل أمَّتي. وهٰذا الإيمان يفرض علي واجباً وإلا فهو ليس إيماناً.

ولٰكن ما الواجب الذي يفرضه عليَّ الإيمان بمجتمعي ووطني وأمتي؟

هذا هو الأصل الأول للمعارضة عامَّة والمعارضة السياسيَّة خاصَّة. وأعني به وعي الانتماء. وينبثق عنه **الأصل الثاني للمعارضة** وهو العمل بما يقتضيه وعي الانتماء. وهذان الأصلان أوَّلان بكلِّ ما تحمله كلمة الأوَّلي من معنى. فهما أولان ترتيباً وتأسيساً وعموماً:

. أولان ترتيباً أي يأتيان في المرتبة الأولى ضرورة لا معدَّى عنها، ولا يجوز تسبيق غيرهما عليهما.

. وأولان تأسيساً، أي لا يستغنى عنهما، لأنَّ كلَّ ما بعدهما إن لم يبنَ عليهما لن يكون إلا لغواً أَو عبثاً أَو تخريباً.

. وأولان عموماً، بمعنى أَنَّهُما واجبا الوجود عند الجميع على حدٍّ سواء؛ عند السُّلطة والمعارضة، فوعي الانتماء والعمل بمقتضاه نقطة يجب أن يلتقي عندها الجميع، ومن يرفض ذلك أو يتنكَّر له أَو يعمل بعكسه لا يحق له التَّقدُّم أَو التنطُّع للعمل السياسي لأنَّهُ سيكون مفتقراً إِلَى المشروعيَّة وحَتَّى الأهليَّة القانونيَّة.

الأصل الأول: وعي الانتماء

الانتماء شعور تلقائيٌّ يعيشه الناس عامَّة وعامَّة الناس. وهو في محض الشُّعور التَّلقائي أَو العفوي به حريٌّ بعامَّة النَّاس لا بالنَّاس عامَّة، ولذلك كانت المعارضة أَو الفكر المعارض عَبْرَ التَّاريخ خاصَّة بفئةٍ من النَّاس لا بكلِّ النَّاس هم الذين ارتقوا بانتمائهم من الانتماء اللاشعوري المحض إِلَى الانتماء الواعي، أَو وعي الانتماء.

إنَّ العناصر المكوِّنة للبنية الانتمائيَّة العفويَّة أَو التَّلقائيَّة للأمَّة، هي ذاتها العناصر المكوِّنة لبنية وعي الانتماء، ولكنَّ فيصل التَّفرقة بَيْنَ هاتين البنيتين، ومن ثمَّ بَيْنَ الانتماء ووعي الانتماء هو الإرادة والقسر. فالانتماء هو فاعليَّةُ عناصر البنية الانتمائيَّة في الذَّات بصورةٍ قسريَّة، بينما نجدُ في وعي الانتماء أنَّ الفاعليَّة جدليَّة تقابليَّة؛ صاعدةٌ نازلةٌ، بَيْنَ الذَّات أو الفرد المنتمي، وعناصر البنية الانتمائيَّة، بحيثُ لا يظلُّ الفردُ متلقيًّا منفعلاً لعناصر البنية الانتمائيَّة وحسب، بل إنَّه يرتدُّ بفاعليَّته إلى هذه العناصر لا بقصد التَّأثير فيها، ولا يعدُّ هذا خطراً، ولكن بقصد إحيائيَّة العلاقة بَيْنَ الوطن والمواطن، بَيْنَ الفرد والأمَّة، ونقلها من إطارها السُّكونيِّ الرُّكوديِّ الذي لا يهتزُّ ولا يتحرَّك إلا بفعل فاعلٍ خارجيٍّ، إلى الميدان الحركيِّ الحيويِّ المتوثِّب دائماً إلى الأمام، إِلَى الأفضل، إِلَى ما يخدم مصالح المجتمع والأمَّة أكثر وأكثر.

الأصل الثاني: العمل بمقتضى وعي الانتماء

أي إنَّ الفرد هنا، وهذا ما يشكِّل مادَّة **الأصل الثَّاني للمعارضة** الذي سَمَّيناه العمل بما يقتضيه وعي الانتماء، لا يكتفي بتلقِّي العناصر

المكوِّنة لذاته والرُّضوخ لها من دون أن يناقش حقائقها وأبعادها وصوابيَّاتها، بل يعود بفاعليَّته إلى هذه العناصر لينتقل بانتمائيَّته من الإلزاميَّة والقسريَّة إلى الإراديَّة، ولينتقل بذاته من الانفعال إلى الفعل. ومن محض اندراجه في بنيته الانتمائيَّة إلى إدراج بنيته الانتمائيَّة في ذاته... الأمر الذي يجعله يندفع بكلِّ مَلَكَاتِهِ وطاقاته ومواهبه لتعزيز هذا الانتماء وخدمته والارتقاء به والاحتماء به والذَّود عنه.

هذان الأصلان؛ الأوَّل والثَّاني، توءم غير منفصمٍ، رُبَّما يجوز عدُّهما أصلاً واحداً ولا مشكلة في ذلك، ولكنَّنا آثرنا عدَّهما أصلين لا واحداً لأنَّ وعي الانتماء مستوى والعمل بمقتضاه مستوى آخر، ناهيك عن ضرورة تبيان أنَّ وعي الانتماء قَدْ يكون زائفاً، وأنَّ العمل بمقتضاه قَدْ يكون خاطئاً، وهذا أمرٌ يقتضي منا وقفة؛ فما معيار الخطأ والصَّواب؟ وما معيار وعي الانتماء الصَّحيح والخاطئ؟ وكيف نعرف أنَّ العمل بمقتضى وعي الانتماء صحيحٌ أَو خاطئٌ؟

الحقيقة أنَّنا هنا أمام مشكلةٍ كبيرةٍ تفتح آفاقاً كبيرةً للاجتهاد وتباين الآراء والمواقف، فالمتدينون يسيرون في اتجاه والمادِّيون يسيرون في الاتِّجاه المعاكس تماماً، ومع ذلك يظنُّ كلاهما أَنَّهُ يعمل بمقتضى وعي الانتماء، وبما يخدم مصالح المجتمع والأمة!! ناهيك عن الأطياف الأُخْرى الممتدة ما بَيْنَ طرفي هذي الاتجاهين!! فمن نصدِّق يا ترى؟ ومع من نسير؟

هذه المشكلة تاريخيَّةٌ، وهي في ظني عصيَّةٌ على الحلِّ في الممارسة الواقعيَّة، ولكِنَّها محدَّدة المعالم على الأغلب في الاستنتاج المنطقي، والمحاكمة العقليَّة، والواقع يقدِّم الكثيرَ من نقاط الاستناد والمعايير

والمحكَّـات... وأحيانـاً الحقـائق الدَّامغـة، وعلـى الـرَّغْمِ مـن ذلـك لـن نفـاجئ إذا وجـدنا مـن يجـادل في هـذه الحقـائق الدَّامغـة ويفهمهـا فهمـاً مقلوبـاً. ولـذلك نحـن بحاجـةٍ إِلَى مخـرجٍ مـن هـذه المشـكلة يتوافـق عليـه الجميـع، ويشـكِّل تمهيـداً لطائفـةٍ مـن الأصـول والأوليَّـات الَّـتي تسـاهم في تقـديم الحلـول الممكنـة لهـذه المشـكلة. وهـذا مـا يعيـدنا إِلَى التَّخيـير في معـرض الإلزام، أعني فلسفة الأبيض والأسود، إمَّا مع أَو ضد، إمَّا نعم أَو لا...

إنَّ انعـدام الوجـود بَـيْنَ نعـم ولا، بَـيْنَ مـع وضـد، وهـو مشـكلتنا الكـبرى، إنَّـهُ يلغـي لا الكثـير مـن الخيـارات وإنَّمـا الخيـارات كلَّهـا ليحصـرنا بَـيْنَ حـدَّي سـكِّينين لا خيـارين، فيمـا الـدُّنيا ملونـةٌ، والألـوان المتنوِّعـة والكثـيرة هـي الَّـتي تعطـي الحيـاة الجمـال والتَّنـوع والغـنى... فلمـاذا نـترك هـذه المسـاحات الواسـعة والشَّاسـعة مـا بَـيْنَ الأبـيض والأسـود ونكتفـي بقصـر الدُّنيا على هذين الحدَّين؟!

عندما قال **جورج بوش الصغير**: «من ليس معنا فهو ضدنا»، هاجمناه هجوماً عنيفاً، وكشفنا عن فضائل التَّنوع وضرورته، وعن الخطأ الكبير الذي ارتكبه **جورج بوش** بهذا الحصر للوجود بَـيْنَ فريقين فَقَـطْ؛ مع وضد... لماذا انتبهنا إِلَى خطأ **بوش الابن** ولم ننتبه إِلَى أخطائنا الكبيرة في الأمر ذاته وبالطريقة ذاتها؟ أَو رُبَّما لا نريد أن ننتبه؟

الأصل الثالث: تقبل الآخر

هذا هو المبدأ أَو الأصل الثالث للمعارضة؛ السِّياسيَّة وغير السِّياسيَّة، وهو أنَّ وجود قناعات وتيَّارات وأفكار متشابهة ومتناقضة ومتعارضة ومتوازية...

هو الأمر الطَّبيعي، وخلاف ذلك هو الأمر غير الطَّبيعي... هذا المبدأ هو تقبل الآخر والاعتراف بحقِّه في الوجود.

الحقيقة أنَّ الاعتراف بالآخر وبحقِّه في الوجود أمرٌ منوطٌ بمستوى الوعي الحضاري للمجتمع والأمَّة، ومكانتها على سلَّم الرُّقي والتَّمدن، فكلَّما ارتقت الأمَّة أكثر، وكانت متحضِّرَةً أكثر تحقَّقت مناخات الاعتراف بالآخر وبحقِّه في الوجود، وكلَّما كان المجتمع متخلِّفاً كان أبناؤه أميل إِلَى التَّقوقع والانغلاق وعدم الاعتراف بالآخر وبحقِّه في الوجود. وهذه مسألةٌ من الضَّروري الانتباه إليها وأخذها بعين النَّظر والحسبان.

تقبُّل الآخر والاعتراف بحقِّه في الوجود شرطٌ أساسيٌّ لممارسة المعارضة ممارسةً مثمرةً قادرةً على خدمة المجتمع والأمَّة. بل شرطٌ ضروريٌّ لأيِّ ممارسةٍ تتوخَّى الوصول إِلَى نتائج جيِّدةٍ تخدم صاحبها بالدَّرجة الأولى، وتحقِّق مصالحه وغاياته، لأنَّ عَدَمَ تقبُّلِ الآخر وَعَدَمَ الاعتراف به يعني وعلى نحوٍ مباشرٍ: عَدَمَ فهمه، وَعَدَمَ فهم الواقع، ومن ثمَّ ارتكابَ الخطأ في التَّقدير والموقف والممارسة، وهذا ما سينعكس عليه سلباً بالضَّرورة. وهذا ذاته ما جَعَلَ بَعْضَ الأحزاب في دول العالم العربيِّ عامَّة على الرَّغْمِ من توافق أهدافها وغاياتها متنافرةً متحاربةً، لا تَجِدُ نقاطاً تلتقي عندها على الرَّغْمِ من التَّهديدات الحاسمة الَّتي تقف في وجه الأمَّة؛ فحيث يحكم البعثيون لا يرى الآخرون فيهم غير مستبدِّين، وحيث يحكم النَّاصريون لا يرى فيهم الآخرون إلا مستبدين وحيث يحكم الإسلاميون لا يرى فيهم الآخرون إلا مستبدين... لا ترى الأحزاب البعيدة عن السُّلطة في السُّلطة أي فعل إيجابي، بل حَتَّى الأفعال الإيجابية الجديرة بالتَّقدير لا ينظر إليها إلا على أنَّها لفٌّ ودورانٌ وضحكٌ على اللحى في الحدِّ اللطيف اللبق من الفهم.

قَدْ لا يكون المطلوب هو البحث عن نقاطِ الالتقاء، ولكن ما لا يستغنى عنه هو عدم تشويه الجهود الإيجابيَّة، والأفعال الجيِّدة، وعدم النَّظر بقلوبٍ أَو عقولٍ موتورةٍ إِلَى الآخر بحيث تقلب الحقائق فتحوِّل الحقَّ إِلَى باطلٍ، والباطل إِلَى حقٍّ.

إنَّ تكريس هذا الفهم المقلوب أَو على الأقل عدم الاعتراف بالآخر وانعدام ثقافة المعارضة وتلاشي وجودها، إِلَى جانب ارتباطه بالتَّخلف فإنَّهُ مرتبطٌ أصلاً، في القرن العشرين، بالثَّورة البلشفيَّة أَو الاشتراكيَّة في روسيا الَّتي زعمت أنَّها قامت من أجل الجماهير، وتولَّت من ثَمَّ التَّفكير والتَّدبير عن الجماهير... ومن غير الطَّريف في الأمر أن يتمَّ تصدير هذا النَّمط من التَّفكير إِلَى الدُّول الَّتي نَحَتْ هذا المنحى الأيديولوجي.

ولكن ثَمَّةَ سؤالٌ سيبرز هنا، ولا يمكن التَّغافل عنه، وهو: أليس هناك حدودٌ لتقبُّل الآخر؟

هنا نحن أيضاً أمام مشكلة.

الفكر المعارض فكرٌ تاريخيٌّ عرفته الشُّعوب كلُّها، ورُبَّما من دون استثناءٍ، فإذا رجعنا إِلَى الأساطير وعقائد الشَّرق القديم؛ في الهند والصِّين وفارس وما بَيْنَ النهرين... وجدنا أنَّ تاريخ البشريَّة هو تاريخٌ صاعدٌ بفعل الصِّراع الدَّائم بَيْنَ التَّقليديِّ المدرسيِّ الاستقراريِّ، والاعتراض على الفكر السُّكوني، أَو الفكر السَّائد الذي هو فكرٌ سكونيٌّ أَو استقراريٌّ بمعنى من المعاني.

العقليَّة الاجتماعيَّة للإنسان عقليَّةٌ ميَّالةٌ إِلَى الاستقرار والثَّبات، وهذا الثَّبات والاستقرار يؤدِّي بالسَّيرورة الآليَّة إِلَى الجمود والانغلاق ومن ثَمَّ الانكفاء على الذَّات. وإذا كانت هذه الذَّات ثابتةً محدودةً مغلقةً فإنَّ

إعادة إنتاج المحدود لن تؤدّي إلا إلَى إنتاج ما هو أقل قيمةً وكفاءةً من المعطيات الموجودة... ولا يمكن إنتاج الجديد إلا بإلقاء الحجر في بقعة الماء الرَّاكد، والمعارضة هي هذا الحجر الذي يحتاج المجتمع إلَى إلقائه في مستنقعه الرَّاكد بَيْنَ الحينِ والحين.

الأصل الرابع: تحريك الجمود

هنا نحن أمام المبدأ أَو **الأصل الرابع من أصول المعارضة**؛ الحاجة إلَى إلقاء الحجر بَيْنَ الحين والحين. والحين هو الحاجة الَّتي يفرضها إيقاع التَّغير الاجتماعي والسِّياسي والقيمي عامَّة في المجتمع أَو الدَّولة وفي المحيط المنخرط بعلاقة جدليَّة مع المجتمع أَو الدَّولة.

هذا إلقاء حجر ورُبَّما أكثر أما إلقاء (كومة) حجارة في البركة فإنَّهُ سيتجاوز تحريك المجتمع إلَى تغيير هويَّته وماهيته؛ (فكومة) الحجارة الملقاة إذا أدَّت إلَى طفوّ ماءٍ أكثر من اللازم سيعني هدراً في هذا الماء، وإخراجاً له من دائرة وجوده. وهذا يعني في إطار التَّفاعل الاجتماعي هدراً لكميَّةٍ من طاقة المجتمع وقدراته وممتلكاته ووجوده، ويعني بلفظٍ آخر استغراق المجتمع والأمَّة في دوامَّةٍ من الجدل والنِّقاش والسِّجال غير المجدي، بل هدراً للوقت بالخروج بالمجتمع والدَّولة عن دوائر النِّقاش أَو السِّجال المجدي والفعَّال والمثمر إلَى جِدَالٍ عقيمٍ يبدو في ظاهره مجدياً أَو مفيداً ولكنَّهُ لا يعدو كونه لعباً وتحركاً على الهامش... ورُبَّما يكون المثال الأكثر وضوحاً عن إضاعة الوقت سدى هو الممارسة الأمريكيَّة مع أمتنا إذ تحصرها دائماً في أطر الدِّفاع عن ذاتها ضدَّ اتهاماتٍ باطلةٍ أَو زائفةٍ أَو هامشيَّةٍ... تحول دون دخولها في مناقشات جادة تستفيد منها، أَو تحول دون إعطائها فرصة تقديم ذاتها كما تريد هي أَو كما هي.

إنَّ إلقاء الحجر في بركة الماء الرَّاكد ممارسة سياسيَّة تحتاج إليها الدولة؛ أيُّ دولة، أي يجب على أحدٍ إلقاء هذا الحجر، ومن يقوم بإلقاء الحجر هو الذي يستطيع تحريكه بالطريقة الأفضل، وتحريكه بالطَّريقة الأفضل ليس محض مهارةٍ بالضرورة أَو دائماً وإنَّما هو آلية وظيفيَّة شرطيَّة تحكمها مقتضيات مصلحة المجتمع والأمة وفق مختلف المعطيات المرافقة أَو الراهنة.

أما قولنا إنَّهُ ممارسةٌ سياسيَّةٌ فهو يعني أنَّ فعل المعارضة السِّياسيَّة فعلٌ أيديولوجي أَو مؤسَّساتي وليس ممارسةً فرديةً أَو اجتماعيَّةً يقومُ بها النَّاس، فالنَّاس هم، في لإطار النَّظري، مادَّة الفعل وغايته، فالمعارضة تقوم من أجل الناس أي من أجل تحقيق مصالح المجتمع والأمة، والارتقاء بمستوى معيشتهم، وحياتهم، ومتطلباتهم...

إنَّ تحوَّل الناس، أي المجتمع كلِّه إِلَى معارضة يعني أنَّ طلاقاً بائناً قَدْ تَمَّ بَيْنَ السُّلطة والجماهير والأمر لم يعد أمر ممارسة معارضة أَو عدم ممارسة معارضة، لأنَّ الحلَّ الوحيد في مثل هذه الحالات هو الثَّورة. أما المعارضة في مفهومها الاصطلاحي فهي ممارسةٌ حزبيَّةٌ أَو مؤسساتيَّة تقوم بها نخبٌ من خلال هذه الأحزاب أَو المؤسَّسات، أَو من خلال نفوذها الفكري والثَّقافي، من أجل تحقيق مصلحة المجتمع في صورة الممارسة السِّياسيَّة، ومن أجل الوصول إِلَى السُّلطة في حقيقةِ الممارسة، بدعوى تنفيذ مشروعها في تحقيق مصلحة المجتمع والأمَّة.

إذن تستمدُّ المعارضة مشروعيَّتها من مشروعها في الوصول إِلَى مصلحة المجتمع والأمة. والسَّلطة تستمدُّ كذلك مشروعيتها من أنَّها اختيرت أَو قُبلت لتحقيق مصالح المجتمع والأمَّة. وهذا يعني أنَّ غاية السُّلطة غاية المعارضة، في

الإطار النَّظري، واحدةٌ، ولكن الأدوات مختلفةٌ أَو متباينةٌ، ورُبَّما تكون متعارضةً في بعض الأحيان، الثَّابت الوحيد وهو العامل المشترك أنَّ غاية الجميع واحدةٌ وهي تحقيقُ مصالح المجتمع والأمَّة والدِّفاع عنها، مع كلِّ ما ينبني عليه هذان الهدفان وكلِّ ما يلزم عنهما.

الأصل الخامس: التنافس الخلاق

هذا يقودنا إِلَى **الأصل الخامس** من أصول المعارضة السِّياسيَّة وهو **التَّنافس** بَيْنَ مختلف أطياف الممارسة السِّياسيَّة على تحقيق مصالح المجتمع والأمَّة. أي إنَّ ممارسة المعارضة ليست من أجل محض كسب ما يسمَّى شَرَفَ المعارضة، والتَّمتُّع بما توحي به الكلمة من بطولة، وإنَّما هي ممارسة هادفة إِلَى كلِّ ما يعلي شأن المجتمع والأمَّة ويحقِّق لها العزَّة والقوَّة والمنعة في مواجهة التَّحديات والمصاعب والمعيقات والأخطار... وبذلك تصبح واجبات المعارضة والسُّلطة سواء، وهي ذاتها.

هذا يعني من ناحية أُخْرَى أنَّ العلاقة بَيْنَ السَّلطة والمعارضة ليست علاقة صراعٍ على الإطلاق وإنَّما علاقةٌ تنافسيَّةٌ خلاقةٌ، لأنَّ الصِّراع لا يكون إلا إذا كان التَّقاطب والخلاف قطعيًّا لا مجال معه للتلاقي أَو الوصول إِلَى نقاطٍ مشتركةٍ أَو إمكان تقديم تنازلاتٍ من الطَّريفين أَو أحدهما للوصول إِلَى منطقة يمكن الالتقاء عندها.

إذا كان الأمر على هذا النَّحو فلن يكون هناك مسوِّغٌ للمعارضة، ولا مجال لوجود شيءٍ اسمه معارضة لأنَّنا سنكون في مثل هذه الحال أمام احتمالين رُبَّما لا ثالث لهما:

. إمَّا أن تكون السُّلطة على صوابٍ والفريق الآخر على خطأ.

. أَو أن تكون السُّلطة على خطأ والفريق الآخر على صواب.

الخطأ والصَّواب هنا حاسمان محسومان واضحان لا خلافيان نسبيَّان، وأعني بالخطأ بالصَّواب هنا أنَّ العمل ضدَّ مصالح الأمَّة وهويتها وكرامتها، وهذا هو حال كثيرٍ من الأنظمة العربيَّة اليوم، والفريق الآخر هو الذي يرفض النَّيل من كرامة الأمَّة وهويَّتها ومصالحها.

فإذا كانت السُّلطة على خطأ، أي أن تكون عميلةً لأعداء الأمَّة تخدم مصالح الأعداء على حساب كرامة الأمَّة وهويَّتها وثقافتها... فإنَّ الفريق الآخر لا يجوز أن يسمَّى معارضةً وإنَّما مقاومة أَو حركة تحرير أَو ما شابه ذلك. وإذا كان العكس، أي إذا كانت السُّلطة على صوابٍ والفريق الآخر يعمل على إسقاطها لصالح الأعداء فإنَّ هذا الفريق ليس معارضةً ولا يجوز أن يسمَّى معارضةً وإنَّما هو خائنٌ وعميلٌ. وهذه أمور متَّفقٌ عليها عالميًّا وتاريخيًّا.

لا شكَّ في أنَّ ثَمَّةَ من سيطرح هنا أمر التَّقصير في الأداء، وخاصَّة تقصير السُّلطة في أدائها، تقصيرها في واجباتها، تقصيرها في سعيها... خطأها في بعض الأمور، في بعض المشاريع... وغير ذلك.

الحقيقة أنَّ التَّقصير أمرٌ يصعب القول إنَّهُ ممكنٌ أَو محتملٌ لأنَّ الأصل في فعل الإنسان التَّقصير لا الكمال، والخطأ كذلك. ولكنَّ التَّقصير والخطأ مستوياتٌ وأنواعٌ؛ تقصيرٌ كبيرٌ وتقصيرٌ قليلٌ وتقصيرٌ بحكم الظروف والمعطيات... وتقصيرٌ مقصودٌ وتقصيرٌ غير مقصودٍ... وهلمَّ جرًّا.

هنا تجدر الإشارة إلَى أَنَّهُ لا يجوز للمعارضة أن تعرقل المشاريع والخطط والسُّلوكات من أجل إثبات أنَّ السُّلطة مقصرةٌ وتكسب نقاطاً

على حسابها لأنَّ مثل هذا الفعل في كلِّ الأعراف والقوانين تخريبٌ يعاقب عليه القانون، وفرقٌ كبيرٌ بَيْنَ أن تستغل المعارضة التَّقصير والخطأ وبَيْنَ أن تعرقل وتخرِّب من أجل إثبات أنَّ هناك تقصيرٌ وخطأ. لأنَّ المعارضة إنَّما تستمدُّ مشروعيَّتها النَّظرية والعمليَّة والأخلاقيَّة والسِّياسيَّة والقانونيَّة من سعيها لمصلحة المجتمع والأمَّة. فكيف يمكن الثِّقة بها إذا كانت تخرِّب من أجل أن تثبت أنَّها هي الَّتي يمكن أن تُصلح؟!

لا شكَّ في أنَّ في ذلك مفارقةً عجيبةً إن أمكن أن تصدق، لأنَّ من يخرِّب ليسيء لغيره لا يمكن أن يصلح، وإلى جانب من ذلك فإنَّ مثل هذه الممارسة تحيل المجتمع والأمَّة ومصالحهما وتاريخهما... إلَى لعبة بَيْنَ السُّلطة والمعارضة؛ كلٌّ يخرب على الآخر، وتظلُّ عجلة التَّاريخ واقفةً عند تنازع السُّلطة.

إذن المعارضة حقٌّ مشروعٌ لكلِّ من يحمل مشروعاً يعزِّز مصالح الأمَّة ومكانتها وقوَّتها وكرامتها... على أن يمارس هذا الحقُّ ضمن شروط الممارسة السِّياسيَّة لأصول المعارضة.

ولكن هل كلُّ من يحمل مشروعاً لخدمة مصالح الأمَّة يجب أن يسمَّى معارضاً، أَو يجب أن يكون معارضاً؟ وهل تعني مشروعيَّة المعارضة وجوبها؟

الأصل السادس: المشروعية والوجوب

هذا ما يقودنا إلَى **الأصل السادس** من أصول المعارضة السِّياسيَّة وهو أنَّ **المشروعيَّة لا تعني الوجوب**، فليس كلُّ مشروعٍ واجباً، ولا كلُّ حامل مشروع معارض. لأنَّ المعارضة ليست تسلية ولا لعباً ولا ميدانا لإبراز البطولات، المعارضة ممارسةٌ سياسيَّةٌ مسؤولةٌ تتولاها غالباً أحزاب

سياسيَّة لها مشاريعها الخاصَّة الَّتي يجب فيها أن تكون متوافقةً مع مصالح الأمَّة وهويَّتها وتاريخها ومستقبلها... أما الأفراد مهما كان شأنهم فلا يسمون معارضين بقدر ما يسمون معترضين أَو محتجين على أمر ما، على خطأ ما، على ممارسة ما... فإذا ما اندرجوا ضمن تيارٍ سياسيٍّ أَو أيديولوجي أمكن أن يسموا معارضين.

المعارضة بهذا المعنى هي مؤشِّر تعدُّدية سياسيَّة أَو تعدديَّة حزبيَّة، ومشروعيَّة المعارضة تعني مشروعيَّة التَّعدديَّة السِّياسيَّة. وهذه المشروعيَّة مستندةٌ إِلَى الأصول السَّابقة من جهة، ومستندة إِلَى مبادئ منطقيَّةٍ ونظريَّةٍ وتاريخيَّةٍ. ولعلَّنا لا نبتعد عن صلب موضوعنا إذا قلنا إنَّ الأديان تؤمن بحقِّ المعارضة، بل يجب أن تؤمن بحقِّ المعارضة طالما أنَّها ترجع إِلَى أصل واحدٍ هو الله، لأنَّ الله تعالى منذ خلق الإنسان ضَرَبَ لنا أروع مثلٍ في حقِّ المعارضة، عندما احتجَّ إبليس لعدم امتثاله لأمر الله بالسُّجود **لآدم** بأنَّهُ من نارٍ **وآدم** من طينٍ... كان من الممكن أن يلغي الله وجوده، أن يميته... وليس هناك من يستطيع محاسبته، أَو يفكِّر فيها، أو يجرؤ عليها... وهذا من حقِّه وهو الخلاق القدير. ولكنَّهُ لم يفعل ذلك، وإنَّما أعتقه وأطلقه وأعطاه مزيداً من القدرات والملكات في حربه مع الإنسان...

إنَّ الله عزَّ وجلَّ هنا يقدِّم لنا أنموذجاً راقياً لا لجواز المعارضة وحسب بل لأنَّ الباطل مهزومٌ حَتَّى وإن زوِّد بمقدرات إضافيَّة...

إذن المشروعيَّة منوطٌ بما أدَّى إليها لا بما يُعَلَّقُ عليها. أي إنَّ مشروعيَّة المعارضة مرتبطةٌ بتحقيق مصالح المجتمع والأمَّة والسَّعي الجادِّ الصَّادق لها والدِّفاع عنها، وليست مشروعةً فَقَطْ ليكون لها الحقُّ في الوجود.

الأصل السابع: تحديد الهوية وإشهارها

طالما أنَّ عنصراً أساسيًّا من عناصر المشروعيَّة هو حقُّ الاختلاف فإنَّ هذا الاختلاف يعني تنوُّع الهويَّات السِّياسيَّة وتعدُّدها، وهذا يقودنا إلَى **الأصل السَّابع** من أصول المعارضة السِّياسيَّة وهو ضرورة تحديد الهويَّة والإفصاح عنها وإعلانها حَتَّى يمكن معرفة شخصيتك الَّتي تعارض بها، ومدى مسؤوليتك، وصلتك بالتَّيَّار الذي تمثِّله، وصلة التَّيَّار الذي تمثِّله بك؛ فأن تكون إسلاميًّا يعني أنَّ هناك تياراً ورُبَّما مؤسَّسةً لها هويَّتها وشخصيَّتها ومن ثَمَّ فإنَّ معارضتك ينبغي أن تكون منسجمةً مع التَّيار الذي تتحدَّث باسمه أَو تمثِّله، وكذلك أن تكون ليبراليًّا أَو شيوعيًّا أَو غير ذلك... أما أن تلدغ وتتخفى، ترمي انتقاداتك من دون تحديد الهويَّة الَّتي تنطلق منها فهذا يثيرُ أسئلةً واستفهامات...

إنَّ تحديد الهويَّة مسألةٌ حاسمةٌ وضروريَّةٌ في الممارسة السِّياسيَّة عامَّةً سواء أكانت معارضةً أَم مناصرةً، لأنَّ من سيحكم للمعارضة أَو الحزب أي حزب في نهاية الأمر هو الجماهير، المجتمع، ومن يضلِّل المجتمع أَو الأمَّة لن يعمل لصالحها أبداً، ولا يمكن الوثوق في أَنَّهُ سيعمل لمصلحة الأمَّة.

هٰذا في الإطار النَّظري العام، في إطار حسن النيَّة. فماذا لو أنَّ هذا الشَّخص أَو الحركة المعارضة لا غاية لها إلا الوصول إلَى السُّلطة ولو على شرف الأمَّة وكرامتها؟! وماذا لو أنَّ القصد هو التَّخريب لمحض التَّخريب أَو لأغراضٍ غير معروفةٍ أَو تنطوي على شبهات؟!!

هنا يجب محاسبة هؤلاء بالتأكيد، وواجب المجتمع لا حقُّه أن يطالب بمحاسبة من يريد العبث بكرامة الأمَّة وهويَّتها. والقانون هو الأداة الَّتي تمثِّل

المجتمع والأمَّة في محاسبة المعتدين على المجتمع والأمَّة. وأنا أعني تحديداً هنا جوقة المعارضة العراقيَّة الَّتي وضعت يدها بيد أعداء الأمة وأطلقت النَّار معها على أبناء الأمَّة وتاريخ الأمَّة وكرامة الأمَّة، وقدَّموا العراق هديةً للأعداء... ولا أظنهم كانوا يظنُّون أنَّ الولايات المتحدة (ستحرِّر) العراق لتقدِّمه له لقمةً سائغةً من دون ثمن... من المؤكد أنَّهم يدركون ما الثَّمن الذي ينبغي أن يدفعوه... وسيدفعونه. وأعني أيضاً تلك النباتات الفطرية والإشنية التي نبتت فجأة في أوربا وأمريكا وزعموا أَنَّهُم معارضة سوريَّة ويحضِّرون أنفسهم للعب الدور الذي لعبه الطرواديون العراقيون.

ينبغي أن نتذكَّر ويتذكَّر الجميع في أي مكانٍ من العالم أنَّ أيَّ دعمٍ أَو تمويلٍ أَو تأييدٍ أَو مؤازرةٍ من الخارج مرهونةٌ بمصالح هذا الخارج لا بمصالح الدَّاخل بأيِّ حالٍ من الأحوال، وهي على الأقلِّ موضع تساؤلات واستفهامات كثيرة لا يجوز أن تمرَّ هكذا أَو بسهولةٍ. فكيف لو كان هذا الخارج هو العدوُّ المتربِّص أيمكن أن يصدِّق عقلٌ أن هذا العدوُّ يعمل لمصلحة عدوه؟!

أظنُّ أنَّ الأطفال الصِّغار يأنفون من التَّفكير في الإجابة عن مثل هذا السُّؤال... البداهة وحدها هي الَّتي تجيب.

الأصل الثامن: العلاقة مع السلطة

يتصل بهذا المبدأ أَو الأصل من أصول المعارضة أصلٌ آخر هو **الأصل الثامن** من أصول المعارضة السياسيَّة وهو أنَّ الوقوف مع السُّلطة، مع التَّحفُّظ على مفهوم السُّلطة، ليس عيباً ولا خطأً ولا عاراً بالضَّرورة... كما يحاول الكثيرون تكريسه، بل كما صار شائعاً على الصَّعيد العالميِّ عامَّة وخاصَّة منذ أواسط القرن العشرين، حَتَّى صار الذي يريد الإساءة إِلَى مفكِّر أَو مبدعٍ يصفه

بأنَّهُ من رجال السُّلطة، وكأَنَّ عبارة «من رجال السُّلطة» مسبَّةٌ أَو شتيمةٌ... والمراد من ذلك هو إيجاد قطيعة بَيْنَ المثقَّفين والسُّلطة، وهذا ما صارت إليه العلاقة بَيْنَ المثقَّف والسُّلطة. لكن هذه القطيعة ستنعكس سلباً على الجميع بالضَّرورة، لأنَّ السُّلطة ستخسر المثقَّفين والمثقَّفون سيخسرون قدرة الفعل والتأثير.

الحقيقة الموضوعيَّة هي أنَّ الوقوف مع السُّلطة، أَو توافق الموقف مع موقف السُّلطة، أو أن يؤدِّي الموقف إِلَى خدمة مسعى أَو مساعي السُّلطة ليس عيباً بحدِّ ذاته ولا خطأ ولا عاراً كما أشرنا، وإنَّما العيب هو فعل العيب، والخطأ هو فعل الخطأ، والعار هو الفعل الذي يجلب العار... والعيب والخطأ والعار مفاهيمٌ أَو قيمٌ أخلاقيَّةٌ واجتماعيَّةٌ غير قابلةٍ للجدال إلا في إطار النِّسبيَّة المكانيَّة والزَّمانيَّة؛ أي نسبيتها من مجتمعٍ إِلَى مجتمعٍ آخر، ومن زمانٍ إِلَى زمانٍ آخر. أما في المجتمع ذاته والزَّمان ذاته فإنَّها تحظى بما يشبه الإجماع الذي يحصِّن المجتمع من الاختلاف والتَّشتُّت.

وفي المقابل من ذلك تماماً ليس الوقوف في صفِّ المعارضة أَو التَّوافق معها في الموقف شرفاً ولا بطولةً بالضرورة. الذي يحدِّد ذلك هو الغاية المعلَّقة على الفكر المحمول، والأهداف الَّتي يتطلَّع إليها، وكذلك طبيعة السُّلطة وممارستها وأيديولوجيتها ومواقفها ومواقعها من الدَّاخل والخارج والعدو والصَّديق...

أعني بذلك أنَّ المعارضة ليست استعراض عضلاتٍ وبطولاتٍ وإثباتِ ذاتٍ كما يظنُّ الكثيرون، وإنَّما هي رسالةٌ ومسؤوليَّةٌ سياسيَّةٌ وتاريخيَّةٌ، والبطولة بالاصطلاح القيمي هي القيام بالفعل الرَّامي إِلَى نصرة الحقِّ والخير وليس غير

ذلك، لأنَّ استخدام العنف أَو القوَّة أَو الشَّجاعة في نصرة الشَّر أَو الخطأ لا تسمَّى بطولةً، وليست أمراً مشرِّفاً على الإطلاق.

هذا يقودنا إِلَى الوجه الثاني والمهم من هٰذا الأصل من أصول المعارضة السياسيَّة وهو طبيعة العلاقة بَيْنَ السُّلطة والمعارضة. فكيف يجب أن تكون العلاقة بَيْنَ السلطة والمعارضة، والمعارضة والسلطة؟

فرقٌ كبير بَيْنَ كيف يمكن أن تكون العلاقة؟ وكيف يجب أن تكون؟

كيف يمكن أن تكون؟ أمرٌ يصعب ورُبَّما يتعذَّر التَّكهُّن به، لأنَّ الإمكانات مفتوحة الآفاق حَتَّى يتعذَّر حصرها. والواقع هو الذي يبيِّن لنا ما تكون عليه هذه العلاقة، وعلم النَّفس وعلم الاجتماع وغيرهما من العلوم هي الَّتي تفسِّر لنا لماذا كانت هذه العلاقة على هذا النَّحو أو ذاك في هذا الظَّرف أَو ذاك ولماذا لم تكن على نحوٍ آخر أَو غيره.

أما كيف يجب أن تكون العلاقة بَيْنَ المعارضة والسُّلطة أَو العكس؟ فهو سؤالٌ قيميٌّ، وجوبيٌّ، ينصبُّ على البحث عن أفضل صورةٍ ممكنةٍ للعلاقة بَيْنَ السُّلطة والمعارضة، أي عن صورةٍ للعلاقة تؤدي إِلَى أفضل النَّتائج الممكنة لمصلحة المجتمع والأمَّة بالتَّأكيد.

وطالما أنَّنا نبحث عن أفضل ما يمكن فإنَّهُ من الخطأ توقُّع أنَّ أفضل ما يمكن هو أمرٌ ثابتٌ ثباتاً مطلقاً يصلح لكلِّ زمانٍ ومكانٍ، أَو يصلح للدَّولة في كلِّ الأوقات، أَو يصلح لكلِّ الدُّول والمجتمعات. إنَّها علاقةٌ متغيِّرةٌ متبدِّلةٌ تبعاً للظُّروف والمعطيات الدَّاخليَّة والخارجيَّة وفي مختلف الميادين.

ولكن هذا التَّغيُّر غير منفصلٍ عن الضَّوابط والأصول، أي إنَّهُ يدور في فلكٍ واحدٍ هو العمل على تحقيق مصالح الأمَّة وإعزاز مكانتها وقوَّتها، أي بمعنى

من المعاني إنَّ هذه العلاقة هي حصيلة الأصول السَّابقة كلِّها ومحصِّلتُها من جهة، وحصيلة الفكر السِّياسي النَّظري من جهةٍ ثانية، واستفادة من تجارب الشُّعوب والأمم الأُخْرى من جهة ثالثة. فوعي الانتماء، والعمل بما يقتضيه وعي الانتماء، والإيمان بأنَّ الاختلاف هو الأمر الطَّبيعي، وحاجة المجتمع أَو الأمة إِلَى إلقاء الحجر لتبديد السُّكون بَيْنَ الحين والحين، والتَّنافس بَيْنَ مختلف الأطراف على تحقيق مصالح المجتمع والأمَّة، وتحديد الهويَّة والإفصاح عنها، والإيمان بأنَّ المشرِّفَ هو الفعل المشرِّفُ والمعيب فعل العيب وليست جغرافيَّة الوقوف هي الَّتي تحدِّد المعيب والمشرِّف... كلُّ ذلك، إضافة إِلَى تجارب الأمم الأُخْرى والفكر السياسي النظري هو المحدِّدات الضَّابطة للعلاقة بَيْنَ السُّلطة والمعارضة في مختلف الظُّروف والمعطيات والأحوال.

إنَّ الصُّورة المثلى للعلاقة بَيْنَ السُّلطة والمعارضة أَو العكس هي أن تكون علاقة تواصليَّة تكامليَّة بنَّاءة، هدفها الأساسيُّ الذي لا يجوز أن يكون عليه أيُّ خلافٍ هو:

. التَّنافس في تحقيق مصالح المجتمع والأمَّة.

. التَّنافس في السَّعي لتعزيز مكانة الأمَّة والارتقاء بها دائماً.

ـ التَّنافس في الدِّفاع عن الأمَّة ضدَّ كلِّ ما يهددها من تحديات وأخطار وتهديدات.

قَدْ لا يكون هناك أدنى خلاف في الهدف ولكن قَدْ يكون هناك خلاف في الاستراتيجيات والأولويَّات وهذا أمرٌ موضع نظر واجتهاد وقابل للنقاش. أما أن تكون العلاقة بَيْنَ المعارضة والسُّلطة علاقة تواصليَّة تكامليَّة بنَّاءة فهذا أمر سيجد من يتساءل عن معناه بالتَّأكيد، ورُبَّما يجد من يعترض عليه. ولكن قبل

أن يعترض أحدٌ أَو يتساءل يجب أن ننتبه إِلَى أنَّ التَّواصل والتَّكامل لا يعني الاندماج، ولا يعني انطواء فريقٍ تحت راية الآخر، ولا يعني توحيد الأيديولوجيا... إنَّهُ يعني عدم الطلاق بَيْنَ السلطة والمعارضة وخاصَّة فيما يتعلق بالتنافس للوصل إِلَى الهدف الأساسي المؤدِّي إِلَى تحقيق مصلحة الأمَّة على جميع الأصعدة والمستويات والميادين والسَّعي لتعزيز مكانتها وقوَّتها والدِّفاع عنها كُلَّما اقتضى الأمر ذلك.

دعونا نقف عند الأمثلة التالية:

قبل مفاوضات السلام مع الكيان الصهيوني كانت كلُّ الحكومات تأخذ مداها الطبيعي أَو القانوني في فترة الحكم حَتَّى بدأت مفاوضات السلام. منذ بدأت المفاوضات لم تستمر حكومة أكثر من نصف مدَّة حكمها، وفي بعض الأحيان لا تبقى شهوراً، إذ سرعان ما تتداعى الدعوات لانتخابات مبكرة، وتكثر انسحابات المعارضة من الحكومة، وتسقط الحكومة غالباً لتأتي حكومةٌ جديدةٌ... وهكذا دواليك حَتَّى جاء **شارون**. ومنذ جاء **شارون** وهو يرتكب المجازر، وتثار حوله الفضائح... وعلى الرَّغْمِ من ذلك ظلَّ الجميع متكاتفون حوله لإيمانهم بأنَّهُ يجلب لهم السلام، أَو يحسن قتل الأعداء والانتقام منهم!!! لم يعد هناك صوتٌ معارضٌ، الكل يؤيد **شارون** في دمويته ووحشيته، ولا صوت يعلو على صوت مدافعه!

هذا هو التآلف والانسجام والتنافس بَيْنَ السلطة والمعارضة على خدمة مصالح الكيان الصهيوني وتقويته والدفاع عنه. فحَتَّى لا ينفذ أو يتمَّ الكيان الصهيوني أي معاهدة لم تدم حكومة أبداً بعد بدء المفاوضات، وعندما توقفت المفاوضات ومال الظنُّ إِلَى أنَّ حكومة **شارون** ستحقق الأمن للكيان الصهيوني

استمرت الحكومة على الرَّغْمِ من كلِّ الفضائح الَّتي انكشفت لهذه الحكومة ورئيسها.

أليس في ذلك درسٌ يستحقُّ الوقوف عنده؟

لندع الكيان الصهيوني ونتوجه إِلَى الولايات المتحدة في الحادي عشر من أيلول عام ٢٠٠٠م، والولايات المتحدة ليس فيها أحزاب معارضة، فيها حزبان رئيسان يتنافسان دوريًّا على السلطة، والتنافس بينهما سجال، والسجال بينهما لا ينهض إلا مع بدء الحملات الانتخابيَّة، وعلى الرَّغْمِ من الممارسة الَّتي سنسميها معارضة من خلال الكونجرس فإنَّ الأحداث الَّتي ألمت بالولايات المتحدة جعلت الجميع يبصمون من دون مناقشة للرئيس **بوش الابن** في كل ما سيفعله من دون مناقشة!!

هذا يعني أنَّ العلاقة بَيْنَ المعارضة والسلطة هي العلاقة الَّتي تضع مصلحة المجتمع والأمة أوَّلاً وقبل كلِّ شيء وأيِّ شيء، حَتَّى يمكن أن تكون وحدة إذا اقتضت الظروف، ومناكفة مقصودة إذا تطلب الأمر، ومواجهة مدبرة إذا استدعى الواقع ذلك... ولكِنَّها لا يجوز أن تكون صراعاً بأي حال من الأحوال، لأنَّ الصراع يعني وجود خلل في الماهيَّة وفهم الهويَّة الانتمائيَّة، وإذا كان الأمر كذلك فإنَّنا لن نكون أمام سلطة ومعارضة، سنكون إمَّا أمام سلطة وخونة أَو عملاء أَو مخربين أَو عابثين، أَو أمام سلطة عميلة أَو خائنة وحركة تحرير.

قَدْ يثور هنا تساؤل عن مفهوم الخيانة. فما الخيانة؟

قَدْ يتسع مفهوم الخيانة ليستوعب أكثر مما نريد ولذلك ربطنا الخيانة بالعمالة، والخيانة بالمستوى الأكثر وضوحاً هي العمالة لأعداء

الأمَّة، وتقديم مصالح أعداء الأمة على مصالح الأمة عن وعي أَو جهل، وأعداء الأمة، على وضوح هويتهم، هم الذين يريدون النَّيل من هويَّة الأمَّة وعزَّتها وكرامتها وقيمها ومقدَّراتها وثرواتها... إنَّهُم باختصار الآخر الذي لا يمكن أن يبقى قويًّا مهيمنا إلا بضعف أمتنا وتخلخلها وتخلعها... إنَّهُ الغرب الذي يظنُّ بعضهم أنَّنا نظنُّ أَنَّهُ يتآمر علينا، ومَن ظنَّ أنَّنا نظنُّ ظلم نفسه وظلمنا لأنَّنا لا نظنُّ ذلك أبداً... إنَّنا متيقنون من ذلك، والأدلة تسدُّ عين الشمس لمن أراد أدلة... فهل من متعظ؟

أظنُّ أنَّنا فوق ذلك كله بحاجةٍ إِلَى فهم التاريخ وفلسفة الحضارة التَّاريخ لأنَّ ذلك يختصر لنا الكثير من الدروس والعبر، ويوفِّر علينا الكثير جدًّا من الجهد والعناء.

مشروعية المعارضة

بعد استعراض هٰذه الأصول ستبرز مجموعة من التساؤلات التناقضة تبعاً لتناقض وجهات نر طارحيها ومواقفهم ومواقعهم، منها ما يتصل بما يمكن أن نسميه هنا مشروعية المعارضة، ورُبَّما تكون هٰذه الأسئلة من قبيل:

هل من الضَّرورة بمكان أن تكون هناك معارضة؟

هل وجود المعارضة هو الأصل والصواب أم عدم وجودها هو الأصل؟

رُبَّما ينفتح السؤال الثاني علىٰ آفاق واسعة ومعقدة تنتهي إلىٰ الجدل العقيم شأنها في ذَلكَ شأن أيهما وجد أولاً الدجاجة أم البيضة علماً أنَّ سؤال الدجاجة والبيضة محسوم لمن لا يريد محض الجدال.

مشكلة الأصل تعيدنا إلىٰ بداية الوجود البشري وطبيعته وتطوره وهٰذه مسألة طويلة ومعقدة نوعاً ماً. ولٰكن إذا أردنا حسم الجدال وجب

أن نعود فقط إلىٰ أصل تكون السلطة. كثرت نظريات تكون السلطة وتركزت فيما سمي نظريات العقد الاجتماعي التي تدور حول فكرة واحدة في المبدأ وهي التفويض. هي نظريات تفسيرية لا واقعية. أعني أنَّها تحاول أن تفسر ما كانت عليه نشأة السلطة، ولا تقول إنَّ السلطة هكذا نشأت بهٰذه الصيغة وهٰذا العقد. لا أحد يمكن أن يجزم إن كانت السلطة قد نشأت علىٰ هٰذا الأساس وبهذه الطريقة أم لا. ولٰكن مفهوم العقد الاجتماعي بَيْنَ الشعب والسلطة أو التفويض متضمن في الاستسلام لرجل أو سلطة.

أيًّا كان أساس نشأة السلطة: عقداً، تفويضاً، غصباً... فنحن أمام نتيجة واحدة من جهة كون المعارضة أصلاً أم نتيجة.

إنَّ وجود معارضة في المجتمع هو الذي أدَّى إلىٰ تفويض سلطة بفض النزاعات وحماية المجتمع. تصور ما لأصل نشأة السلطة. أي إنَّ المعارضة سابقة علىٰ السلطة ووجود المعارضة في المجتمع هو الذي فرض علىٰ المجتمع وجود سلطة تؤمن التوازن وحل النزاعات وحماية المجتمع ومعاقبة المخالفين والخارجين عن الإجماع.

في المقابل فإنَّ تصور أنَّ السلطة هي الأصل وأنه لم يكن هناك معارضة وإنما الحاجة إلىٰ وجود السلطة نجمت عن الحاجة إلىٰ التنظيم ومواجهة العدوان الخارجي والوقوف في وجه اللصوص والمعتدين الداخليين والخارجيين وهم ليسوا معارضة ولا تصح تسميتهم معارضة. ومن أجل ضمان أن تقوم السلطة بواجبها وجب أن توجد قوَّة معارضة لها تفرض عليها العودة إلىٰ السراط كلما خرجت عنه. فكان الأصل هو وجود ضرورة.

أما صوابية وجود المعارضة فهي مسألة لا يجوز البت فيها بالمطلق وإنما بالغاية التي تقوم عليها المعارضة. ما تريده المعارضة هو الذي يقرر صوابيتها أو عدم صوابيتها.

ومن ثَمَّ فإنَّ ضرورة وجود المعارضة وعد ضرورتها منوط أيضاً بالطريقة ذاتها لصوابية وجودها؛ أداؤها، غايتها، طريقتها هي التي تقرر ضرورتها من عدم ضرورتها. المعارضة التي تقوم علىٰ الأصول السابقة في المبدأ ضرورة لا يجوز الاستغناء عنها. أما إذا مارست تأثيراً تخريبيًّا فإنها تفقد صفة المعارضة وتتحول إلىٰ هيئة تخريبية تنطبق عليها قوانين الجنح والجنايات وما في حكمها.

المعارضة والديكتاتورية والديمقراطية

لَقَد قلدنا الغرب في كل تفاهاته، وتقليعاته، وسخافاته... وتركنا كلَّ ما هو قمين بالتقليدٌ؛ في أمريكا أين المعارضة، أين المعارضة في ألمانيا، أين المعارضة في إسبانيا، أين المعارضة في فرنسا... توجد هناك أحزاب فقط، الحزب الذي يفوز يكون هو السلطة والذي يخسر يتحول إلىٰ معارضة. وواجب الأحزاب جميعها أن تعمل علىٰ خدمة الأمة، وتحصينها، والدفع بها إِلَى مزيد من الرقي والرخاء والتقدم...

شيء رائع، وهٰذا ما نريده. إذا كانت هذه هي الأهداف فلا مشكلة بعد ذلك في تسميتها... معارضة، أحزاب، جمعيات... لا مشكلة... ليست التسمية هي المهمة، المهم هو النتيجة.

ولٰكن علىٰ أرضية نقارن بَيْنَ هٰذه الدول ودول الشرق؟

لا توجد أي أرضية مشتركة لمثل هٰذه المقارنة في حقيقة الأمر. لا أحزاب في بلداننا مثل أحزاب الغرب هٰذا، ولا المعارضة في بلداننا مثل المعارضة في دول الغرب هٰذا.

إنَّ تحقق الديمقراطية تحققاً فعليًّا، مع تحفظنا علىٰ وجود ديمقراطية حقيقية أو فعلية إلا في أطر معينة من فلسفة سياسية أو عقيدية تأكل من الديمقراطية ومن حرية الإنسان التي هي أساس الديمقراطية وغايتها، ولٰكن تحقق الديمقراطية بمعنى انتفاء سلطة الفرد، وانتفاء استبداد السلطة وتفردها، وتداول السلطة سلميًّا، مع فصل السلطات الذي لا غنى عنه... تحقق مثل هٰذه الشروط، الديمقراطية، يؤدي بالضرورة إلىٰ اضمحلال ضرورة وجود معارضة خارج إطار الأحزاب التي تخوض الانتخابات وتربح أو تخسر...

في المجتمع الديمقراطي لا توجد معارضة توجد أحزاب. لا توجد معارضة بمعنى منظمات أو جماعات أو تنظيمات... توجد معارضات فردية من أفراد لا يجتمعون ولا تجمعهم أسباب فقد يعترض بعض علىٰ شيء ولا يعترض آخرون... وتوجد احتجاجات أو اعتراضات علىٰ خلل ما، علىٰ خطأ ما، علىٰ صواب ما... وهٰذه ممارسة عارضة، طارئة، تنشأ في ظرف ويتفرج الجمع بعدها وقد لا يجتمعون ثانية في اعتراض آخر أو احتجاج جديد، ويأتي غيرهم وهكذا.

أمَّا في الشرق الميمون فالسلطة هي ذاتها منذ سبعين سنة، الحاكم هو ذاته منذ سبعين سنة، الحزب هو ذاته منذ سبعين سنة وإن تغيرت الطاقية التي يلبسها أو الاسم الذي يحكم به كما في مصر علىٰ سبيل المثال.

هٰذا وحده يكفي لقطع دابر المقارنة مع دول الغرب، ويقطع بعدم جوازها.

أنا لا أقول أبداً إن الغرب ديمقراطي. وإنما قلت يوجد فيها تداول سلطة سلمي ولا يوجد تفرد في السلطة لا من فرد ولا من سلطة لا تتغير، ويوجد فصل سلطات... أمَّا الحرية والديمقراطية فهي دنيا أُخْرَىٰ.

النتيجة التي أريد الوصول إليها من هٰذه المقاربة أنَّ مجتمعاً لا تداول للسلطة فيه هو مجتمع الاستبداد والتفرد بالسلطة، وإلا فما معنى أن لا يتغير السلطان سبعين عاماً وأكثر؟!

في مثل هٰذا المجتمع لا قيمة للمعارضة ولا أثر. في مجتمع الاستبداد والتفرد بالسلطة لا قيمة للمعارضة ولا أثر ولا قدرة علىٰ فعل شيء. هٰذا إذا كانت معارضة حقيقية. أصلاً من الصُّعوبة بمكان القول بوجود معارضة في مثل هٰذه المجتمعات لأن من يسمون أنفسهم معارضة في ظلِّ نظام أو سلطان مستبد، ديكتاتور، ليسوا إلا أحد أمرين:

إمَّا أنَّهُم ديكورات للسلطة يمنحونها الشرعية وينافقون لها أكثر من الجميع شأن الأحزاب في الدول التي فيها أحزاب فإنهم أكثر نفاقاً من رجال السلطة المنافقين أنفسهم.

أو أنَّهُم موظفون عند السلطان للقيام بتمثيل دور المعارضة من أجل أشياء كثيرة منها الإيقاع بالناس، الإيشاء بهم، فهم كيفية تفكيرهم، معرفة أين هم وماذا يفعلون وماذا يدور في روؤسهم، انتصاص نقمة الشعب، تخدير الشعب كما يقال...

بل إن بعض الأنظمة العربية لا تقبل فكرة وجود معارضة تحت أي مستوى أو نوع أو شرط أو ظرف علىٰ الإطلاق كما هو حال الخليج العربي كله تقريباً.

في ظل ذلكَ لا يمكن إلا يوجد معارضين أفراداً، معارضين ضمناً لا تشهيراً، معارضين ينتهزن فرص الاعتراض المناسبة... ولكنَّهُم عاجزون عن الفعل، غالباً ما تستثمرهم الأنظمة من بعد للقول بوجود حرية تعبير... يظلون بأمان طالما هم يدورون ضمن دوائر محددة من قبل الأنظمة من إثارة الرأي العام والقدرة علىٰ قيادته والمساس بقداسة السلطان.

خاتمة

أين المعارضة العربيَّة من هٰذه الأصول؟

مصيبتنا مع المعارضة العربية كبيرة. من خلال إلقاء نظرة علىٰ المعارضة العربية هنا وهناك أسمح لنفسي بالقول ختاماً إنَّ المعارضة السورية عند الشدائد أثبتت أنَّها معارضة شريفة نظيفة لم تبع نفسها للخارج، وعندما ظهر التهديد الخارجي وقفت مع الدولة. ثوابت الشعب السوري التاريخية لا مساومة عليها ولا مجاملة.

أقول ذٰلكَ لأننا رأينا من المعارضة العربية أكثرها العجب العجاب من الارتهان للخارج ارتهاناً لا يمكن تصديقه.

حسبنا أنموذجاً المعارضة العراقيَّة التي عادت إلىٰ العراق علىٰ ظهر الدبابات الأمريكية فاتحة الباب للغزو الأمريكي مباركة هٰذا الغزو الذي رُبَّما أعاد العراق عشرات السنين إلىٰ الوراء ورُبَّما سيعيدها أكثر ناهيكم عن مخططاته ومشاريعه التقسيمية للعراق والمنطقة من خلال العراق. إنها وحدها أنموذج صارخ جالب للصداع الذي لا ينفك عن الرأس ولا يزول.

لا تتخيلوا أنَّ المعارضة العربية الأُخْرَىٰ في دول أُخْرَىٰ أحسن حالاً أبداً. إنها تنتظر فقط الفرصة المناسبة لتفصح عما أفصحت عنه المعارضة العراقية وممارسته علىٰ أرض الواقع ممارسة غير قابلة للتصديق. هناك مشاهد وملامح للمعارضة العربية في لبنان ومصر والسودان توحي بأنها أنموذج للمعارضة العراقية. وما خفي غالباً سيكون أعظم. وليست المصيبة في الدول المذكورة وحدها فقط، أكاد أجزم بأنَّهَا كلها من طينةٍ واحدةٍ.

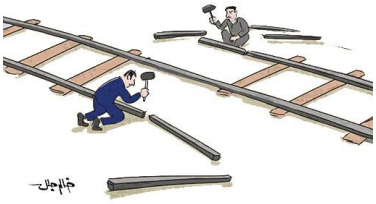

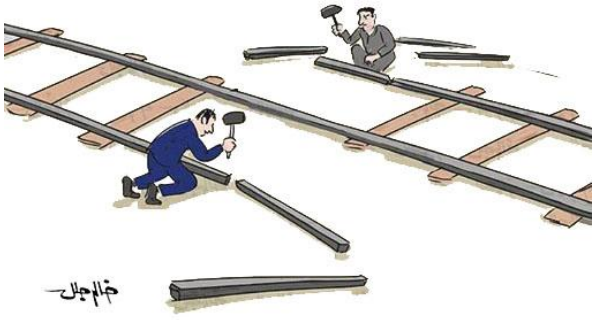
خالد جلال

الفصل الثاني

المعارضة العربية أكبر كذبة

إذا أحسنا الظن في المثقف العربي والمعارض العربي فغننا نقول إنَّهُ يعاني من حالة انفصام شخصيَّة. ولكنَّ يبدو أنَّهُ ليس كذلكَ، يبدو أنَّهُ صناعة مخابراتيَّة لتسويق الأنظمة .

عنـدما انطلقـت الثَّـورة سـكتوا!!!
وبعد تقدُّم الثَّورة وقفوا إلىٰ جانب النِّظام!!!
ومنـذ فتـرة بـدأوا يفاوضـون باسـم النِّظـام!!!
وفوق ذٰلكَ كلِّه هـم مفوَّضـون مـن النِّظام!!
هـؤلاء فـي سـوريا ومصـر ولبنـان والعـراق والجزائر...

مقدمة

هٰـذا الفصـل هـو مجموعـة مـن المقـالات الـتي تخـص المعارضـة الـتي كتبـت ونشـرت منـذ انطلاقـة الثـورة السـورية إلىٰ وقـت إعـداد الكتـاب للنشر تقريباً.

لم يتضـمن هٰـذا الفصـل كـل مـا كتبتـه عـن المعارضـة السـوريَّة وأخطائهـا وخيباتهـا، ثَمَّـة الكثـير مـن هٰـذه الكتابـات الـتي تضـمنها كتابـا: الثـوار والمعارضـة والثـورة السـورية[٢]، والثـورة السـورية وأزمـة القيـادة[٣]. تضـمن هٰـذا الفصـل بعـض محطـات هـزال المعارضـة العربيـة ومواقفهـا العجيبـة التي لم يكن ليتوقعها أحد.

كان أولها: لماذا اليسار العربي عدو الشَّعب والحرية؟ ثمَّ مثقفو السلاطين، ثمَّ الهزال من المثقف إلى الشَّعب، ثمَّ معارضة أعجب من العجب، ثمَّ معارضة أم

(٢) . الدكتور عزت السيد أحمد: **الثوار والمعارضة والثورة السورية** . دار أنهار . بيروت . ٢٠١٤م.

(٣) . الدكتور عزت السيد أحمد: **الثورة السورية وأزمة القيادة** . دار العالم العربي . عمان . ٢٠١٥م.

مصافعة؟، ثمَّ غوغائية المعارضة السُّورية والعربية، ثمَّ المعارضة والطائفية والعرقية، ثمَّ محمد حسنين هيكل لم يسقط.

لماذا اليسار العربي عدو الشَّعب والحرية؟[٤]

لا أريد أن أدخل في تفاصيل الماضي وهي أكثر من أن تعدَّ أو تحصى في مواقف اليسار العربيِّ المخزية والدَّاعية إلىٰ الاستغراب الشَّديد.... ويمكن أن أناقش ذَلكَ لمن شاء ومتى شاء نقطة نقطة.

أريد أن أقف هنا عند موقف اليسار العربي من الرَّبيع العربي. قد يكون في الرَّبيع العربي بعض نقاط استفهام، ولٰكنَّ الحقيقة التي لا تقبل النِّقاش أنَّ الثَّورات العربيَّة هي ثورات علىٰ الظُّلم والطُّغيان والاستبداد والفساد وامتصاص دماء الشُّعوب.

هٰذه حقيقةٌ لا تقبل الشَّك، حقيقة الحراك الثَّوري في تونس ومصر واليمن وليبيا وسوريا وفيما سيأتي من دول علىٰ الطَّريق. هناك بعض تداخلات خارجيَّة ولٰكنَّهَا لا تصل أبداً إلىٰ المستوي الذي يفقد الثَّورة مصادقيتها بحال من الأحوال.

ومع كلِّ الوضوح الذي يفقأ عين أي منكرٍ أو جاحدٍ وقف اليسار العربي موقفاً مخزياً إلىٰ أبعد الحدود ضدَّ هٰذه الثَّورات.

في حين أنَّ الشَّارع العربي كان ينتظر منهم أن يكونوا في طليعة الثَّائرين، كما يصورون أنفسهم، وإن لم يكن كذَلكَ ففي طليعة المساندين والمؤازرين.... فإنَّهُم لم يكتفوا بعدم تحقيق أيٍّ من المتوقع

(٤) . نشر هٰذا المقال في ٢٠١٢/١١/٢٦م الشبكة العربية العالمية، ثمَّ في عدد من مواقع النت والتواصل الاجتماعي.

منهم، بل إنَّهُم لم يكتفوا بالصَّمت وهو أضعف الإيمان وإنما وقفوا ضدَّ الثَّورات موقفاً فاجراً لا يقلُّ فجوراً أبداً عن موقف النِّظام وإعلام النِّظام وأبواق النِّظام. وراحوا يردِّدون ذرائع النِّظام ذاتها بالطَّريقة ذاتها في اتِّهام الثَّورات في مختلف بقاع الوطن العربي.

شيءٌ يضع العقل في الكف حيرةً!!!

أين النِّضال والمعارضة ونقد الرجعيَّة ونقد الفساد ونقد السُّلطة ونقد الاستبداد والاستعراضات البطوليَّة في مواجهة كلِّ ذَلكَ؟؟؟

هل كلُّه تمثيلٌ وخداعٌ وتضليل؟؟؟

أم أنَّهُ جبن؟

لا أتخيل أن يكون جبناً لأنَّهُم كانوا يقدمون أنفسهم علىٰ أنَّهُم أشجع من عنترة بن شداد، ولأنَّ أجبن النَّاس عندما اندلعت الثَّورة تحولوا إلىٰ أشجع الناس، يعني لم يعد هناك جبناء.

حسناً، يمكن أن نلتمس لهم بعض العذر في بدايات الثَّورة، أي ثورة، ولٰكن بعد انكشاف الحقائق انكشافاً يسدُّ عين الشَّمس لم يعد لأحدٍ عذرٌ يمكن أن يقبل. فلماذا مازالوا يصرُّون علىٰ محاربة الثَّورة ومعاداتها؟ لماذا يصرُّون علىٰ اجترار ذرائع النِّظام أو الأنظمة وتكرارها من مؤامرة خارجيَّة ومندسين وإرهابيين ومخربين[٥]...؟؟

قبل أن أنتقل إلىٰ آلية تجولهم وتحويرهم في الكلام والموقف لا بُدَّ أن ندرك الحقيقة الأساسيَّة التي تقف وراء هٰذا الموقف. الحقيقة هي أنَّهُم

(٥) .كتب ونشر هٰذا المقال في ٢٠١٢/١١/٢٦م أي قبل أي ظهور لما يسمى الإسلاميين علىٰ السَّاحة الثَّورية وقبل ظهور ذريعة الخوف من الإسلاميين التي صاروا يتذرعون بها لاحقاً.

هم أنفسهم من كان يتحكَّم بكلِّ شيءٍ في السُّلطة؛ الإعلام، الثقافة، المؤسسات... وهم لذلك بطريقةٍ أو بأخرى جوقةُ الفساد المحيطة بالسلطان، وعندما هبت الثَّورات وجدوا أن سيطرتهم ومكاسبهم هي المعرضة للخطر شأنها في ذلكَ شأن النِّظام الذي تغلغلوا في تفاصيله وأجزائه، ولذلك لم يجدوا في هٰذه الثَّورات إلا ثورات عليهم هم مثلما هي ثورات علىٰ النِّظام، أو الأنظمة التي قامت الثَّورات ضدَّها، ولذلك وقفوا ضدَّها، ولا يمكن الوقوف ضدَّها إلا بترديد الترهات والأضاليل ذاتها التي توجه إليها من مؤامرة خارجيَّة وإرهاب ومندسين وغير ذلكَ من أضاليل وأباطيل.

الحقيقة الثَّانية التي يجب ذكرها في هٰذا السِّياق هي أنَّ هناك من يظنُّون أنفسهم أذكياء من بساريين أو يمينيين أو ممن لا يسار لهم ولا يمين، وبناء علىٰ حسن ظنِّهم بذكائهم سيبدأون بتدوير الزوايا، بل إنَّ بعضهم قد بدأ بذلكَ بالفعل، من خلال بعض التَّعليقات والمواقف التي ستقلل تدريجيًّا من حدَّة الموقف الفاضح المفضوح من الثَّورة، وسأبدأ بأوضح مثال صدر عن حسن نصرالله أمس في الخامس والعشرين من تشرين الثاني ٢٠١٢م إذا بدأ يقلل من حدة تصريحاته الدَّاعمة لجرائم بشار الأسد الوحشيَّة، فراح يعلن أنَّهُ مع نصرة المظلوم وأنَّ الشَّعب السُّوري كله مظلوم، وبعد أن كان يقول إنَّ النِّظام المقاوم هو المستهدف صار يقول: الشَّعب السُّوري وسوريا كلها مستهدفة، وبعد أيام رُبَّما يخرج علينا بما يشبه التنصل من جرائم بشار الأسد، وبعد أيام رُبَّما يتبعه

بتصريح يؤيِّد فيه الثَّورة السُّوريَّة[٦]...!! حسن نصر الله ليس يساريًّا، ولٰكنَّهُ أنموذج لليساري العربي في الموقف وفي تدوير الزوايا.

هٰذا هو تدوير الزَّوايا الذي بدأ اليساريون يفعلونه فهم الآن صاروا مع الثَّورة ولٰكن يقولون: يجب تخليصها من شوائب المؤامرة والمطامع الغربيَّة والخارجيَّة من وهابيَّة وبهائيَّة وبهلوانيَّة وهلم جراً.

وبعد فترة قصيرة، سيتابعون تدوير الزوايا، وسيظلون يتابعون تدوير الزوايا حسب الكفة الراجحة: الثَّورة أم النِّظام، في سوريا والدول الأُخْرَىٰ سيَّان، عندما يلوح انتصار الثَّورة ستجدونهم يحملون السِّلاح ويشاركون كتائب الجيش الحر، وما هي إلا غمضة عين حَتَّىٰ تكون الثَّورة ثورتهم، وهم الذين قاموا بها، وهم الذين قادوها... وأنَّهُم منذ البداية قوادها.

هل عرفتم من أين جاء الإسلاميون ولماذا جاؤوا؟

وهل أدركتم من أين جاء التَّطرف ولماذا جاء؟؟؟

هٰذه السلوكات الاستغبائيَّة هي التي حولت المعتدل إلىٰ متطرف. وليس لأنَّ الشَّعب الثائر متطرِّف.

مثقفو السلاطين[٧]

منذ أكثر من عشرين سنة يستفزني الكلام في المثقف والسُّلطة، أين يجب أن يقف المثقف من السُّلطة؟

---

(٦) . الذي حدث في شأن حسن نصرالله هو اتخاذ قرار التضحية بكل شيء لنصر النِّظام السُّوري رُبَّما باجتهاد شخصي ورُبَّما بقرار إيراني.. وفعلاً خسر حسن نصرالله وإيران كل ما يمكن أن يعد رصيداً حسناً في العالم العربي والإسلامي، وذٰلكَ أمر يطول الكلام فيه ستكون لنا عودة إليه.

(٧) . نشر هٰذا المقال في ٢٠١١/١١/١٦م في عدد من مواقع النت والتواصل الاجتماعي.

ولكنِّي كلما بدأت الكتابة في الموضوع توقَّفت عن الكتابة ولم أستطع المتابعة.

الحقيقة أنَّ الفكرة التي كانت ترود ذهني أنَّهُ لا يوجد ما يمنع من وقوف المثقَّف إلىٰ جانب السُّلطة ناصحاً، فأن تكون السُّلطة بمثقفين خير من أن تكون بلا مثقفين.

ولٰكنَّ هٰذه الفكرة ذاتها هي التي كانت تكهربني كلما شرعت في الكتابة، فلا أستطيع المتابعة.

اليوم أعلن: أنَّ المثقف الذي لا يستطيع أن يقف ضدَّ السُّلطة، المثقف الذي لا يستطيع أن ينقد السلطة، المثقف الذي يدافع عن أي خطأ من أخطاء السلطة... ليس مثقفاً، إنَّهُ متسلِّقٌ منافقٌ أو جبانٌ لا يستحق شرف أن يكون مثقَّفاً لأنَّ الثَّقافة تصنع عقلاً متميِّزاً مستفيداً من خبرات الأجيال والتاريخ، والذي لا يستفيد من كلِّ ذلك فعقله في خلل ما.

علماء السلاطين ومثقفو السلاطين ليسوا علماء الدين وحسب، هناك علماء نفس، وفيزياء وجغرافيا وجيولوجيا وفبركلوجيا وتزويرلوجيا... إنهم من مختلف الاختصاصات، الذي يميزهم هو طبيعة تفكيرهم التبريريَّة للسُّلطان، والتلفيقيَّة لأعداء السُّلطان. منذ أسبوع علىٰ سبيل المثال وهؤلاء العلماء مشغولون بسرِّ ابتسامة قادة الأخوان عند اعتقالهم، الكلُّ يقر بالحقيقة ويقول:

الابتسامة تعني الأمل، والتَّفاؤل، والثقة... ولٰكنَّ هناك استثناء هو ابستامة قادة الأخوان تحديداً فهي تدلُّ علىٰ الانهزام واليأس وفقدان الأمل والحيرة والتَّردد... والرَّغبة في الانتحار...

الحقيقة الأكيدة أنَّ علماء السَّلاطين عناصر مخابرات لا أكثر يلبسون قبعة الاختصاص الذي يتناسب مع شكلهم.

ابن حنبل ضرب بالسوط بفتوى علماء، وابن تيميَّة أدخل السجن بفتوى علماء، وابن حزم أحرقت كتبه بفتوى علماء... لهٰذا عند سلفنا الصَّالح فماذا يحدث في زمننا الطالح؟

الهزال من المثقف إلى الشَّعب[٨]

يكاد لا يصدِّق المرءُ أبداً أنَّ أشد دعاة الحريَّة والدِّيمقراطيَّة في عالمنا العربي قبل الرَّبيع العربيِّ هم اليوم أشدُّ أعداء المناضلين من أجل الحرِّيَّة والدِّيمقراطيَّة... أمرٌ مثل الكذب.

منذ أكثر من ربع القرن كتبت أكثر من مرَّةٍ أنَّ كثيراً من هٰذه القامات الفكريَّة والسِّياسيَّة والثَّقافيَّة ليست إلا هياكل جوفاء صنعتها الأنظمة... أصفار أخرجتها الأنظمة من الحاويات ونفخت فيها وشهرتها وسلَّمتها قياد المؤسَّسات الثَّقافيَّة والحراك الثَّقافي، ولٰكن نحن شعبٌ نهوى أن ننخدع.

هناك قاماتٌ فكريَّة عملاقةٌ يتمُّ تداول أقوالها علىٰ أنَّهَا حِكَمٌ تتجاوز الأزمان في الثَّورة والحريَّة والدِّيمقرطيَّة ونقد الأنظمة الاستبداديَّة في حين أنَّهَا عناصر مخابرات، كانت تختفي عدَّة أيام في ليالٍ حمراء مع الفراريج المحمرة، وتروِّج أنَّهَا كانت قيد الاعتقال في أقبية النِّظام وقد تمَّ الإفراج عنها بمعجزةٍ إلهيَّةٍ.

---

(٨) . نشر هٰذا المقال في ٢٠١٣/١٢/٨م في عدد من مواقع النت والتواصل الاجتماعي، تحت عنوان: المثقف العربي والمجتمع العربي أصفار.

مات من مات من هؤلاء ولم نفجع بموقفه من الثَّورة. ولٰكنَّ الأحياء منهم كانت موافقهم كافية لتكون الفجيعة أكبر من أن تحتمل؛ من كان يتصوَّر أن لا يقف مع الثَّورة شخصٌ مثل دريد لحام الذي كان أجرأ ناقدٍ للفساد والاستبداد والسلطة والنِّظام الأمني... علىٰ مدار أربعين سنة؟! أن لا يقف معها أمره وحده مفجعٌ، ولٰكنَّهُ تجاوز ذٰلكَ إلىٰ مناهضة الثَّورة والوقوف ضدها. يمكن أن تستوعب وقوف أي فنان آخر هٰذا الموقف ولٰكن أن يكون من هٰذا الشخص الذي يحمل هٰذه المواصفات فهو الأمر الذي يتجاوز الفجيعة.

مثله كان طيب تيزيني الذي سَحَرَ العالم بثوريَّته ومعارضته ونقده الجريء؛ كان أنموذجاً للمناضل الثَّوري الشُّجاع الباسل في نقد النِّظام القمعي والأجهزة الأمنيَّة والفساد... وإذ به رجل النِّظام الأوَّل!!! لو وقف مثل هٰذا الموقف أيَّ مفكر آخر أو مثقف آخر لكان يمكن أن تستوعب موقفه، ولٰكن أن يكون منه هو تحديداً بعد نحو ثلاثين سنة من نضاله الثَّوري فهٰذا أمرٌ لا يصدَّق!! لقد تبيَّن أنَّهُ كلُّه كذب وخداع وتضليل...

هٰذان أنموذجان، أنموذجان صارخان. أمَّا مثقفو المواقف المائعة أو العادية فحدث ولا حرج. لقد أثبتَ المثقَّف العربيُّ أنَّهُ أعجز عن أن يكون قدوةً وغير جديرٍ أبداً بأن يكون قدوة.

إنَّ المجتمع العربيَّ الرَّاهن الذي تحرِّكه الراقصات والمسلسلات ومباريات كرة القدم أكثر ألف مرَّةٍ مما تحركه دماء الشُّهداء المنسفحة علىٰ ربوع سوريا شعب لا يمتلك من العقل ما يكفي للتَّفكير السَّليم، شعب تحكمه الغرائز البهيميَّة أكثر مما يحكمه الوجدانُ الأخلاقيُّ أو الإنساني.

كيف يمكن أن أثق في أنَّ مثل هٰذا الشَّعب العربيِّ الرَّاهن يمكن أن يكون له أيُّ مستقبلٍ مشرقٍ وهو يرى أهله هو لا أهل غيره يذبحون ويحرقون ويشرَّدون في العراء تحت المطر والبرد والثلوج والريح والعواصف... وهو بضميره المرتاح يسوح مع السياح، ويلهو ويعلب وتأخذه الراقصة ومبارة كرة القدم أكثر بألف مرَّةٍ مما يمكن أن تشغل باله معاناة أهله هؤلاء؟؟؟؟

كلمة هزلت كلمةٌ قليلةٌ علىٰ مثل هٰذا الحال.

إذن ليس من المبالغة أبداً القول: لقد أثبت الشَّعب العربيُّ حَتَّىٰ الآن أنَّهُ غير جدير بالدِّيمقراطيَّة والحريَّة في ظلِّ وعيه الاجتماعي الراهن. ولا تعذرونا علىٰ القسوة في الحكم.

معارضة أعجب من العجب[٩]

منذ سنةٍ ونصف تقريباً وبالي مشغولٌ بأشخاصٍ وأحزابٍ وحركاتٍ كانت معارضةً للنِّظام بشدَّةٍ مستفزةٍ أحيانا، تدعونا لنكره المعارضة...

هؤلاء

عندما انطلقت الثَّورة سكتوا!!!

وبعد تقدُّم الثَّورة وقفوا إلىٰ جانب النِّظام!!!

ومنذ فترة بدأوا يفاوضون باسم النِّظام!!!

وفوق ذٰلكَ كلِّه هم مفوَّضون من النِّظام!!

هؤلاء في سوريا ومصر ولبنان والعراق والجزائر...

الحقيقة التي انكشفت ويتعذَّر الطَّعن فيها هي أنَّ هؤلاء الأشخاص وهٰذه الأحزاب والحركات لم يكونوا في يومٍ من الأيام طلاب حريَّةٍ أو عدالةٍ أو ديمقراطيَّة،

(٩) . نشر هٰذا المقال في ٢٠١٣/١٢/٢٤م في عدد من مواقع النت والتواصل الاجتماعي.

ولا حَتَّى طلاب كرامةٍ، وإنَّمَا هم أصلاً وفصلاً لا يعرفون الصِّدق، ولا قيم نبيلة عندهم، هم متسلقون وصوليون يركبون الموجة التي تحقِّق مصالحهم وأنانيتهم فقط لا أكثر.

ولـذلك سكتوا في بداية الثَّورة ليعرفوا إلىٰ أين ستميل الكفَّة، ويعرفوا أين يقفون وماذا يفعلون من أجل تحصيل المغانم الأكبر والمكاسب الأعظم، وعندما تقدَّمت الثَّورة خطوةً بعد خطوة وجدوا أنَّ حصَّتهم أقلَّ من طمعهم ولذلك وقفوا مع النِّظام قلباً وقالباً وظلوا يبعبعون ضدَّ النِّظام بما لا يثير غضب النِّظام عليهم وعلىٰ رأسهم في سوريا هيئة التَّنسيق وأحزاب الجبهة الوطنيَّة كلها التي لم تخالف النِّظام في قول أو فعلٍ أو سلوكٍ، ولم تعترض عليه في شيء أبداً. وعندما أحسُّوا بأنَّهُم صاروا مفضوحين لم يعد أمامهم سوى أن يحاربوا الثَّورة ويدافعوا عن النِّظام.

الطَّريف الغريب في الأمر أنَّهُم يروِّجون سرًّا، ولهم أزلامهم في ذَلكَ، أنَّهُم لهم كتائب جيش حر، ويدعمون عشرات كتائب الجيش الحر، وأنَّهُم إنَّما يصرحون بما يصرحون به خوفاً من بطش النِّظام ومن أجل أن يستطيعوا الاستمرار في دعم الثَّورة، وهٰذا كلام عارٍ من الصِّحة لا أساس له، لهم بعض الكتائب القليلة بالتَّأكيد لتكون نماذج عند ضرب الأمثلة، ولٰكن أنا علىٰ يقين بأنَّ الكتائب التَّابعة لهم لا تقوم إلا بتخريب عمل الجيش الحر لتشويه الثَّورة. من يعرف كتائبهم فلينظر فيها وينظر فيما تفعل وتضر الثَّورة لا تخدمها.

هٰذه الظَّاهرة ليست اختلاقاً ولا تجنيًّا، وقد كتبت منذ بداية الثَّورة ذَلكَ. الذي لفت انتباهي وأثار فضولي هو أنَّهُ كان المتوقع من هؤلاء الأشخاص والأحزاب والجماعات أن يكونوا في طليعة الثَّورة وأكبر وأبرز

قادتها، ولكنَّهُم غابوا عن ساحة الثَّورة غياباً ملفتاً وعجيباً، والأعجب من ذلكَ أنَّ الذين كانوا بعثيين هم الذين نادوا بسقوط البعث والنِّظام أكثر من أحزاب المعارضة وأكثر من هؤلاء الأشخاص الذي نفخوا رؤوسنا بمعارضتهم.

هٰذه الظَّاهرة ليست ظاهرةً سوريَّة، فسوريا ليست وحدها مختصَّة بهٰذه الوصوليَّة والنِّفاق وتقديم مصالح الأفراد، أو مصالح أحزاب هؤلاء الأفراد علىٰ مصلحة الوطن ودماء آلاف الشُّهداء... ولا أطيل في قائمة الألم التي لا تغيب عن ذهن أيِّ سوريٍّ... سوريا ليست وحدها التي تعيش فيها مثل هٰذه الطُّفيليَّات والكائنات السيتوبلازميَّة والإشنيَّة فهي موجودة في العالم العربي كلِّه. ظهر ذلكَ بوضوحٍ في مصر وفي العراق وحَتَّى في اليمن... ولا تبتعدوا كثيراً، افتحوا أعينكم وستجدون بوضوح مثل هٰذه الإشنيات والكائنات السيتوبلازميَّة في كلِّ دولةٍ عربيَّة.

هٰذا يدعونا إلىٰ فتح باب التَّساؤل عن المعارضة التي تمثِّل الثَّورة، علىٰ أساس أنَّهَا تمثِّل الثَّورة، من قبيل الموجودين في المجلس الوطني والإئتلاف الوطني... ولا ننسى بعضاً من الهيئات الثَّوريَّة التي يفترض أنَّها موجودةٌ في الدَّاخل فيما هي ليست كذٰلكَ التي تركب دماء الشَّهداء وتضحيات النَّاس...

كثيرٌ من هٰؤلاء، وليس الجميع بالتأكيد، من قبيل تلك المعارضة، كانوا كذٰلكَ قبل الثَّورة واستمروا، وقليل نادر من استهدى إلىٰ الصَّواب. فما الذي يمكن أن نتوقعه منهم؟!

أفتح الباب وأتركه مفتوحاً لأنَّ الكلام فيه غير قليلٍ.

ما إنْ أشرقَتْ شمسُ الرَّبيع في عالمنا حَتَّىٰ انكشفت كلُّ الأوراق بوضوح:

اكتشفنا أنَّ المفكِّر الحرَّ هو أكثر الخلق عشقاً للعبوديَّة!!!

اكتشفنا أنَّ القوميين العرب أشدَّ أعداء القوميَّة العربيَّة!!!

اكتشفنا أنَّ من كانوا يدعون إلىٰ الموضوعيَّة هم أشدُّ أعدائها!!!

اكتشفنا أنَّ أعداء إسرائيل الظَّاهرين هم عبيدها وعملاؤها الحقيقيون!!!

اكتشفنا أنَّ من يدعون إلىٰ احترام الرأي الآخر هم من يرفضون الآخر!!!

اكتشفنا أنَّ العلمانيين لا يعرفون من العلمانيَّة إلا ما يحارب الدين!!!

اكتشفنا أنَّ من قادوا الممناعة والمقاومة هم ما يحارب المقاومة الحقيقيَّة ويمنعها ويقف سداً منيعاً أمام إسرائيل!!!

اكتشفنا أن كثيراً من اللصوص يلبسون ثياب شرفاء!!!

اكتشفنا أنَّ كثيراً ممن كانوا يبيضون علينا الوطنيَّة خونة وعملاء!!!

اكتشفنا الكثير الكثير مما يطير العقل أعلى تطيير!!!

لك الله أيُّها الرَّبيع العربيُّ

كم من الجبال جعلتها دكًّا وصارت رماداً

بفضل الرَّبيع العربي:

رجال كثيرون تبين أنَّهُم نسوان!!!

وطنيون كثيرون تبين أنَّهم خونة!!!

معارضون كثيرون تبين أنَّهم عناصر مخابرات!!!

لك الله أيها الرَّبيع العربي كم (شلَّحتَ) أناساً ثيابها!!!

عشرات السِّنين ونحن ننتظر صحوة العرب.

صحا من صحا ومن صحا عاد للنَّوم بعد أن صحا.

ومن لم يصح لن يصحو.

وستنتظر الأجيال القادمة عشرات السِّنين لترى مثل هٰذه الفرصة ولا ندري هل سيكون الشَّعب العربيُّ أهلا لها أم لا؟!

هٰذا ليس تشاؤماً.

شعبٌ بمثل هٰذه الخصائص لا يمكن أن توقظه قنبلةٌ ذريَّة علىٰ باب بيته!!!!

حسبي الله ونعم الوكيل.

معارضة أم مصافعة[١٠]

سجِّل أيُّها التَّاريخ

كلُّ يومٍ تثبت المعارضة التي تمثِّل الثَّورة السُّوريَّة أنَّها حثالةُ البشر.

إنَّهُ لمن أشدِّ مآسي التَّاريخ أن يمثِّل أعظم ثورة أناسٌ هم أتفه النَّاس وأكثرهم لصوصيَّةً وأنانيَّة وعبوديَّة لمصالح أعداء الشَّعب السُّوري.

ما هٰذه المعارضة التي لا بُدَّ أن يكون عنوان كلِّ اجتماع من اجتماعاتها تبادل الصَّفعات؟

ما هي هٰذه المعارضة التي مضى عليها أكثر من سنتين وحَتَّى الآن لم تقدِّم للثَّورة أيَّ مشروعٍ أو مخطَّطٍ يساعد الثَّورة ولو مثل بعض ربع ما يساعدها به رجلٌ سوريٌّ واحدٌ مع الثَّورة وليس من المعارضة؟

ما هي هٰذه المعارضة الرقيعة التي بغبائها وتناحرها تجعل رجال النِّظام يتنطعون بكلِّ صفاقة وثقة لتمثيل الثَّورة؟ أليس لأنَّ هٰذا الاعتلاف مشوَّهٌ عند الثَّوار إلىٰ الحدِّ الذي يجعلهم يقبلون بأيِّ كلبٍ بدلاً عنهم؟

---

(١٠) . نشر هٰذا المقال في ٢٠١٤/١/٧م في عدد من مواقع النت والتواصل الاجتماعي.

لا نعدِّد الأمثلة على تنطُّع رجال النِّظام لتمثيل الثَّورة وقد أشرنا غير مرةٍ إلى ذَلكَ، ولٰكن لننظر فيما يحدث اليوم من تقدم محمد حمشو ومحمد برمو لتشكيل اعتلاف قوى معارضة جديد يحلُّ محلَّ الاعتلاف الوثني الذي أثبت أنَّهُ إن لم يكن عدوًّا للثَّورة فإنَّهُ عبد لأعداء الثَّورة السُّوريَّة.

رُبَّما يمكن بعد الجهد أن نلتمس حجَّةً لواحدٍ يعيش خارج سوريا منذ ما قبل الثَّورة أن يتنطَّع لادعاء تمثيل الثَّورة، وللحقيقة والتَّاريخ فإنَّ معظم أعضاء الاعتلاف الآن وقبله المجلس الوطني من السُّوريين الذين لا يعرفون سوريا إلا على الخريطة رُبَّما. ومع ذَلكَ يمكن أن نعصر بصلةً على أنوفنا ونقبل بهم ممثلين للثَّورة. ولٰكن كيف يمكن أن يتنطع محمد برمو، وهو من يعرف أهل ريف دمشق من هو، وهو ما زال عضو مجلس شعب إلى الآن أن يتنطع لتشكيل معارضة تمثِّل الثَّورة؟

والأمر نفسه ينطبق على محمد حمشو وهو إلى الآن شريك رجال النِّظام في تجارتهم وشركاتهم.

المعارضة السُّوريَّة بكلِّ مكوِّناتها تذكرني بحكاية ما زلت أرويها من سنين طويلة. يحكى أنَّهُ دنا الموت من أحدهم وعانى في موته، فشعر أنَّهُ رُبَّما اقترف ذنباً يجب أن يستسمح له. فطلب السَّماح من أهله فسامحوه. ولم يمت واشتدت المنازعة عليه صعوبةً. فوجَّه أبناءه إلى أقاربه القريبين، ثمَّ أقاربه البعيدين، ولم يتغيَّر شيءٌ. فطلب الصَّفح من الجيران، ولم يتغيَّر شيءٌ، ثُمَّ إلى جوار الجيران، ولم يتغيَّر شيءٌ... وأخيراً تذكَّر حيواناته فحملوه إليها، وبكى أمامهم، وطلب الصَّفح منهم والسَّماح إن قصَّر معهم.

علا خوار الثَّور وأومأ أنَّهُ سامح.

والحمار نَهَقَ أنَّهُ قد سامح.

والخرفان فعلت...

وعندما وصل إلىٰ الجمل هزَّ الجمل رأسه مستنكراً.

فقال له: ماذا هنالك؟

قال الجمل: حرثت الأرض عليَّ بَدَلَ الثَّور أو الحمار سامحتك عليها... عطَّشتني أكثر من كلِّ الحيوانات... سامحتك علىٰ ذَلكَ... كنت تطعم البقر والحمار أكثر مني، أيضاً سامحتك... وفعلت كذا وسامحتك، وكذا وسامحتك... شيءٌ واحدٌ لا أستطيع أن أسامحك عليه، وهو أن تربطني بذيل الحمار وتجعل الحمار يقودني، فهٰذا ما لا يمكن أن أسامحك عليه.

وهٰذه هي قصة الثَّورة مع الحمير الذين يتقدَّمونها ويقودونها.

ومن كان لديه اعتراضٌ فليقله لعَلَّنا أخطأنا.

الحقيقيَّة التي لا بُدَّ من التَّركيز عليها في هٰذه الآونة وكلِّ آونة هي أنَّ ما يسمَّى معارضة في العالم العربي، ومنذ عشرات السنين، لا ترقى أبداً إلىٰ استحقاق اسم المعارضة، ولا تستحقُّ شرف نيل هٰذا المهمة. فلقد أثبتت المعارضة العربيَّة في أقطار الوطن العربي قاطبةً أنَّها في الملمَّات والأزمات والمنعطفات السَّهلة والصَّعبة أعجز عن أن تصل إلىٰ أدنىٰ مستويات المقبول، وأدنىٰ مستويات الوطنيَّة والحسِّ بالانتماء. وتوزعت ما بَيْنَ ثلاث أنواع رُبَّما لا رابع لها:

أولها العمالة الصريحة والارتهان لأعداء الوطن والقطر. أعداء الوطن أو القطر لا حاجة للتَّفصيل فيهم، ولٰكنَّ ما لا بُدَّ من الإشارة

إليه هو أنَّ الأنظمة العربيَّة بجملتها وتفاريقها تقريباً أعداء للوطن. وهٰذه الأنظمة اصطنعت أقنعةً لأناسٍ سمَّتهم معارضين، يقومون بدور المعارضة علىٰ أكمل وجه، بما في ذٰلكَ اعتقالهم وهروبهم ومطاردتهم... ولكنَّ هؤلاء كما بينا في غير هٰذا الموقع يصطفون مع النِّظام عند أيِّ تهديدٍ فعليٍّ للنِّظام مهما كان، علىٰ أساس أنَّهُم معارضة وطنيَّة شريفة غير مرتهنة للخارج!!

ثانيها الغباء والسَّطحيَّة المثيرة للتقيؤ. لا أريد أن أطيل هنا، ولٰكنَّ ما لا بُدَّ من أن توضع بعض النِّقاط علىٰ حروفه، أنَّ المعارضة التي كانت بارزةً في العالم العربيِّ، علىٰ قَدْرٍ محدودٍ من الذكاء، بعضهم علىٰ قدر من الثَّقافة كافية، ولٰكنَّ محدوديَّة التفكير وقدراته تجعل منهم آفات أخطر علىٰ الوطن من الآفات الطبيعيَّة والكوارث الخطيرة. بمناسبات عديدة، وبحكم الضَّرورة الواقعيَّة، تواصلت مع كثيرٍ منهم في العالم العربي ومنهم والأكثر في سوريا. منذ سنين كثيرة قطعت الأمل منهم. وكنت أشفق علىٰ الوطن من أمثال هؤلاء المعارضين. وكان بالفعل ما توقَّعت عندما احتاج الوطن إلىٰ المعارضين.

ثالثها نظيفةٌ مشتَّتة مهمَّشةٌ وهي قليلة العدد والفعل.

أعود هنا إلىٰ الصِّنفين الأولين. كلاهما انغلق علىٰ ذاته ضمن مجموعاتٍ فئويَّةٍ حزبيَّةٍ أو طائفيَّةٍ أو مناطقيَّةٍ أو عشائريَّةٍ... وروَّج فقط لمن ينتمي إليه، وقامت بتهميش كلِّ من لا يعزف علىٰ أوتاره. كان من الطَّبيعي أن يكون هناك معارضون لا يريدون الانتماء إلىٰ أيِّ طرفٍ أو فريقٍ لأنَّ همَّهم أن ينتقدوا الأخطاء، أمثال هؤلاء قليلون عدداً، قليلون فعلاً. وهم محاصرون بالنِّظام وهياكل المعارضة.

والممارسة التي تجمعها هٰذه الأطراف كلها رُبَّما من دون استثناء هي الإقصائيَّة والتخوين ورفض الاعتراف بالآخر، وتخيلوا ماذا يمكن أن يحدث عندما الخائن يقوم بتخوين الآخرين!!! أو أنَّ الغبي أو الجاهل يقوم باتهام الآخرين بالغباء والجهل!!! التَّخوين غالباً هو الذَّريعة الأكثر حضوراً لممارسة الإقصاء. كيف لا وعدم الإقصاء يكشف عوار الخائن والجاهل ويفضحه؟!!

تُمارسُ الإقصائيَّةُ علىٰ أسسٍ وخلفياتٍ متعدِّدةٍ متفرِّقةٍ أو رُبَّما مجتمعةٍ، فالذين يقومون بدور المعارضة، أقول يقومون بدور المعارضة لأنَّهُم لا يستحقُّون أن يكونوا معارضةً. تمترسوا في منغلقات فئويَّةٍ إمَّا طائفيًّا أو حزبيًّا أو عشائريًّا أو مناطقيًّا أو أيديولوجيًّا.

لقد كَشَفَ الرَّبيع العربيُّ عوار هٰذه المعارضة من المحيط إلىٰ الخليج. برز ذٰلكَ واضحاً في دول الرَّبيع العربيِّ، ولٰكنَّ الدُّول التي لم تشهد الرَّبيع حَتَّىٰ الآن لم تقل معارضها فجوراً عن معارضة دول الرَّبيع العربيِّ فكلها تقريباً وقفت مع الطغيان والوحشيَّة في واجهة الرَّبيع العربيِّ. وقبل الرَّبيع العربيِّ لم تكن أحسن حالاً في احتلال العراق مثلاً إذ كانت المعارضة هي جنود الاحتلال الأمريكي.

طبيعيٌّ، كلُّ ذٰلكَ طبيعيٌّ، المجتمع العربي مجتمع متخلف ولن تكون معارضته إلا نسخة منه. عندما ينزع المجتمع العربي رداء التخلف ستكون معارضته جديرة بأن تكون معارضة.

غوغائية المعارضة السُّورية والعربية[11]

سجِّل أيُّها التَّاريخ أنَّهُ لمن أشدِّ مآسي التَّاريخ أن يمثِّل أعظم ثورة أناسٌ هم تقف الألسن حائرة في وصف تقصيرهم وأنانيتهم وعبثيتهم ومدى ما ألحقوه من ضرر بالثَّورة السُّوريَّة.

ما هٰذه المعارضة التي لا بُدَّ أن يكون عنوان كلِّ اجتماع من اجتماعاتها تبادل الصَّفعات؟

ما هي هٰذه المعارضة التي مضى عليها أكثر من أربع سنوات وحَتَّى الآن لم تقدِّم للثَّورة أيَّ مشروعٍ أو مخطَّطٍ يساعد الثَّورة ولو مثل بعض ربع ما يساعدها به رجلٌ سوريٌّ واحدٌ مع الثَّورة وليس من المعارضة؟

ما هي هٰذه المعارضة التي بغبائها وتناحرها تجعل رجال النِّظام يتنطعون لتمثيل الثَّورة؟ أليس لأنَّ هٰذا الاعتلاف مشوَّهٌ عند الثَّوار إلىٰ الحدِّ الذي يجعلهم يقبلون بأيِّ كلبٍ بدلاً عنهم؟

لا نعدِّد الأمثلة علىٰ تنطُّع رجال النِّظام لتمثيل الثَّورة وقد أشرنا غير مرةٍ إلىٰ ذٰلكَ، الأمثلة كثيرة من جنيف ٢ إلىٰ اليوم، حسبنا ما يسمى منتدى موسكو واد واثنين التفاوضي. وقبل ذٰلكَ تنطع رجال النِّظام لتشكيل إئتلاف قوى معارضة جديد يحلُّ محلَّ الإئتلاف الذي أثبت أنَّهُ إن لم يكن عدوًّا للثَّورة فإنَّهُ عبد لأعداء الثَّورة السُّوريَّة.

رُبَّما يمكن بعد الجهد أن نلتمس حجَّةً لواحدٍ يعيش خارج سوريا منذ ما قبل الثَّورة أن يتنطَّع لادعاء تمثيل الثَّورة، وللحقيقة والتَّاريخ فإنَّ معظم أعضاء

---

(11) . نشر هٰذا المقال في ٢٠١٥/٤/١٧م في عدد من مواقع النت والتواصل الاجتماعي.

الاعتلاف الآن وقبله المجلس الوطني من السُّوريين الذين لا يعرفون سوريا إلا علىٰ الخريطة رُبَّما. ومع ذَلكَ يمكن أن نعصر بصلةً علىٰ أنوفنا ونقبل بهم ممثلين للثَّورة.

المعارضة السُّوريَّة بكلِّ مكوِّناتها تذكرني بحكاية ما زلت أرويها من سنين طويلة. يحكى أنَّهُ دنا الموت من أحدهم وعانى في موته، فشعر أنَّهُ رُبَّما اقترف ذنباً يجب أن يستسمح له. فطلب السَّماح من أهله فسامحوه. ولم يمت واشتدت المنازعة عليه صعوبةً. فوجَّه أبناءه إلىٰ أقاربه القريبين، ثمَّ أقاربه البعيدين، ولم يتغيَّر شيءٌ. فطلب الصَّفح من الجيران، ولم يتغيَّر شيءٌ، ثُمَّ إلىٰ جوار الجيران، ولم يتغيَّر شيءٌ... وأخيراً تذكَّر حيواناته فحملوه إليها، وبكى أمامهم، وطلب الصَّفح منهم والسَّماح إن قصَّر معهم.

علا خوار الثَّور وأومأ أنَّهُ سامح.

والحمار نَهَقَ أنَّهُ قد سامح.

والخرفان فعلت...

وعندما وصل إلىٰ الجمل هزَّ الجمل رأسه مستنكراً.

فقال له: ماذا هنالك؟

قال الجمل: حرثت الأرض عليَّ بَدَلَ الثَّور أو الحمار سامحتك عليها... عطَّشتني أكثر من كلِّ الحيوانات... سامحتك علىٰ ذَلكَ... كنت تطعم البقر والحمار أكثر مني، أيضاً سامحتك... وفعلت كذا وسامحتك، وكذا وسامحتك... شيءٌ واحدٌ لا أستطيع أن أسامحك عليه، وهو أن تربطني بذيل الحمار وتجعل الحمار يقودني، فهٰذا ما لا يمكن أن أسامحك عليه.

وهٰذه هي قصة الثَّورة مع الحمير الذين يتقدَّمونها ويقودونها.

ومن كان لديه اعتراضٌ فليقله لعَلَّنا أخطأنا.

الحقيقيَّة التي لا بُدَّ من التَّركيز عليها في هٰذه الآونة وكلِّ آونة هي أنَّ ما يسمَّى معارضة في العالم العربي، ومنذ عشرات السنين، لا ترقى أبداً إلىٰ استحقاق اسم المعارضة، ولا تستحقُّ شرف نيل هٰذا المهمة. فلقد أثبتت المعارضة العربيَّة في أقطار الوطن العربي قاطبةً أنَّها في الملمَّات والأزمات والمنعطفات السَّهلة والصَّعبة أعجز عن أن تصل إلىٰ أدنىٰ مستويات المقبول، وأدنىٰ مستويات الوطنيَّة والحسِّ بالانتماء. وتوزعت ما بَيْنَ ثلاث أنواع رُبَّما لا رابع لها:

أولها العمالة الصريحة والارتهان لأعداء الوطن والقطر. أعداء الوطن أو القطر لا حاجة للتَّفصيل فيهم، ولٰكنَّ ما لا بُدَّ من الإشارة إليه هو أنَّ الأنظمة العربيَّة بجملتها وتفاريقها تقريباً أعداء للوطن. وهٰذه الأنظمة اصطنعت أقنعةً لأناسٍ سمَّتهم معارضين، يقومون بدور المعارضة علىٰ أكمل وجه، بما في ذٰلكَ اعتقالهم وهروبهم ومطاردتهم... ولكنَّ هؤلاء كما بينا في غير هٰذا الموقع يصطفون مع النِّظام عند أيِّ تهديدٍ فعليٍّ للنِّظام مهما كان، علىٰ أساس أنَّهُم معارضة وطنيَّة شريفة غير مرتهنة للخارج!!

ثانيها الغباء والسَّطحيَّة المثيرة للتقيؤ. لا أريد أن أطيل هنا، ولٰكنَّ ما لا بُدَّ من أن توضع بعض النِّقاط علىٰ حروفه، أنَّ المعارضة التي كانت بارزةً في العالم العربيِّ، علىٰ قَدْرٍ محدودٍ من الذكاء، بعضهم علىٰ قدر من الثَّقافة كافية، ولٰكنَّ محدوديَّة التفكير وقدراته تجعل منهم آفات أخطر علىٰ الوطن من الآفات الطبيعيَّة والكوارث الخطيرة. بمناسبات عديدة، وبحكم الضَّرورة الواقعيَّة، تواصلت مع كثيرٍ منهم في العالم العربي ومنهم والأكثر في سوريا. منذ سنين كثيرة قطعت الأمل منهم. وكنت أشفق علىٰ الوطن من أمثال هؤلاء المعارضين. وكان بالفعل ما توقَّعت عندما احتاج الوطن إلىٰ المعارضين.

ثالثها نظيفةٌ مشتَّتة مهمَّشةٌ وهي قليلة العدد والفعل.

أعود هنا إلىٰ الصِّنفين الأولين. كلاهما انغلق علىٰ ذاته ضمن مجموعاتٍ فئويَّةٍ حزبيَّةٍ أو طائفيَّةٍ أو مناطقيَّةٍ أو عشائريَّةٍ... وروَّج فقط لمن ينتمي إليه، وقامت بتهميش كلِّ من لا يعزف علىٰ أوتاره. كان من الطَّبيعي أن يكون هناك معارضون لا يريدون الانتماء إلىٰ أيِّ طرفٍ أو فريقٍ لأنَّ همَّهم أن ينتقدوا الأخطاء، أمثال هؤلاء قليلون عدداً، قليلون فعلاً. وهم محاصرون بالنِّظام وهياكل المعارضة.

والممارسة التي تجمعها هٰذه الأطراف كلها رُبَّما من دون استثناء هي الإقصائيَّة والتخوين، وتخيلوا ماذا يمكن أن يحدث عندما الخائن يقوم بتخوين الآخرين!!! أو أنَّ الغبي أو الجاهل يقوم باتهام الآخرين بالغباء والجهل!!! التَّخوين غالباً هو الذَّريعة الأكثر حضوراً لممارسة الإقصاء. كيف لا وعدم الإقصاء يكشف عوار الخائن والجاهل ويفضحه؟!!

تُمارسُ الإقصائيَّةُ علىٰ أسسٍ وخلفياتٍ متعدِّدةٍ متفرِّقةٍ أو رُبَّما مجتمعةٍ، فالذين يقومون بدور المعارضة، أقول يقومون بدور المعارضة لأنَّهُم لا يستحقُّون أن يكونوا معارضةً. تمترسوا في منغلقات فئويَّةٍ إمَّا طائفيًّا أو حزبيًّا أو عشائريًّا أو مناطقيًّا أو أيديولوجيًّا.

لقد كَشَفَ الرَّبيع العربيُّ عوار هٰذه المعارضة من المحيط إلىٰ الخليج. برز ذٰلكَ واضحاً في دول الرَّبيع العربيِّ، ولٰكنَّ الدُّول التي لم تشهد الرَّبيع حَتَّىٰ الآن لم تقل معارضها فجوراً عن معارضة دول الرَّبيع العربيِّ فكلها تقريباً وقفت مع الطغيان والوحشيَّة في واجهة الرَّبيع العربيِّ. وقبل الرَّبيع العربيِّ لم تكن أحسن حالاً في احتلال العراق مثلاً إذ كانت المعارضة هي جنود الاحتلال الأمريكي.

طبيعيٌّ، كلُّ ذَلكَ طبيعيٌّ، المجتمع العربي مجتمع متخلف ولن تكون معارضته إلا نسخة منه. عندما ينزع المجتمع العربي رداء التخلف ستكون معارضته جديرة بأن تكون معارضة.

علىٰ أي حال، هٰذا مشهد صغير لا أكثر من مشاهد غوغائيَّة المعارضة السُّوريَّة والعربيَّة. لا ترجعوا إلىٰ التاريخ كثيراً ابحثوا في الحاضر ففيه ما يكفي.

المعارضة والطائفية والعرقية[١٢]

علىٰ ضوء منتجات الثَّورة السُّوريَّة تحديداً، ومنتجات دول الرَّبيع العربي خاصة والدول العربيَّة عامَّةً النقطة برزت الكثير من التساؤلات تحت صيغ مختلفة عن العلاقة بَيْنَ المعارضة والطائفيَّة أو العرقيَّة أو كليهما.

هٰذه المسألة أثارتها مواقف الأقليات من الثَّورة السُّوريَّة. ليس موقف الأقليات السُّوريَّة من الثَّورة وحسب بل موقف الأقليات في العالم العربيَّة كله تقريباً من الثَّورة السُّوريَّة. هٰذه المواقف التي كانت معادية للثورة علىٰ طول الخط منذ البداية حَتَّىٰ ظهرت ملامح انهيار النِّظام فتقلقلت المواقف ولم تتحدَّد، ثمَّ لما بدا رجحان كفة النِّظام عادت للغموض المريب علىٰ الرَّغْمِ من كل ما تعرضت له من النِّظام طيلة الثَّورة ولن لن أقول ما قبلها.

أنطلق تأسيساً من العقليَّة المغلقة التي تفرضها الأقليات علىٰ ذاتها سواء أكانت أقليات عرقيَّة أم طائفيَّة أم دينيَّة أم غير ذَلكَ مما قد يكون أقليات بشريَّة في مجتمعات كبيرة.

---

(١٢) . شرعت في كتابة هٰذا الموضوع في ٢٠٠٤م مع أصول المعارضة السياسية ولكني لم أكمله إلا مع إعداد هٰذا الكتاب للطباعة، فآثرت إدراجه هنا لا هناك

مهما كانت الأقليَّة واثقة في نفسها، مهما كانت الأقليات واثقة في عقيدتها أو حقوقها، بل أقفز علىٰ الفور إلىٰ أقصى المبالغة وأقول مهما كانت الأقليات قويَّة أو تمتلك من عناصر القوَّة، ومهما كانت واثقة في الأكثريَّة ومدركة أن الأكثريَّة لا تشكل لها أي تهديد فإنَّها تظل تعيش حالة رهاب الأقليَّة والخوف من المستقبل، وتفكر وتعمل وتخطِّط علىٰ هٰذا الأساس. وتكوِّن أساطيرها التي تنغرس في عقول أبنائها.

الأقليات هي معارضة قولاً واحداً لأيِّ نظام أكثريَّة أو حَتَّىٰ أقليَّة غيرها يكون حاكماً. وهي في الوقت ذاته ظاهريًّا موالاة لأيِّ نظام حاكم أكان من الأكثريَّة أم كان من الأقليَّة. وهي معارضة للمعارضة وموالية للموالاة وموالية للمعارضة ومعارضة للموالاة... هي كومة عقد لا تعرف بدايتها من نهايتها في موضوع الموقف من السلطة القائمة والسلطة القادمة ولا حَتَّىٰ السلطة المنصرمة.

هي تعرف من هي فيما يبدو، ولٰكنَّهَا فيما يبدو لا تعرف ماذا تريد من الآخرين ولا تعرف ماذا يردون الآخرون منها. يقولون إنَّهَا تُقدِّم نفسها لمن يعطيها أكثر والمنطق يقول يجب أن تقدم نفسها لمن يضمن حقوقها أكثر ولٰكنَّهَا هنا تتقهقر وهناك تتجبر، ثمَّ لا تلبث أنَّها بَيْنَ هنا وهناك تتحير فلا تتعرف كيف تتقدم ولا تتعرف كيف تتأخر... ولٰكنَّهَا علىٰ كل حال في الشدائد تلعب علىٰ كل الحبال.

لهذه الأسباب قلَّما تظهر معارضة ذات منبت طائفي أو عرقي أو أقلوي بأيِّ جهة دلاليَّة للأقلويَّة. علىٰ الرَّغْمِ من أنَّها في مختلف الظُّروف والأحوال تلعب من تحت الطَّاولة كلَّ ما يخطر ولا يخطر في البال من ألعاب. وغالباً ما تكون السَّيف الذي يقطع ظهر الضَّعيف في نهاية المطاف وعند الحاجة إلىٰ

الحسم حَتَّىٰ ولو كان صاحب الحق والصواب وحَتَّىٰ لو كان الأفضل تعاملاً مع هٰذه الأقليَّة.

لهذه الأسباب جملة وتفصيلاً قلَّما تظهر معارضة ذات طابع فئوي من هٰذا القبيل أو أقلوي بالمعنى الأكثر تحديداً.

ولٰكنَّ هٰذا لا يعني أنَّ الأفراد لا يقومون بذٰلكَ. سأقول لا ندري الأساس الذي يبني عليه أفراد الأقليات معارضتهم وانتماءاتهم لأحزاب المعارضة أو حركاتها أو علىٰ نحوٍ فرديٍّ. ولٰكنَّك تجدهم هنا وهناك ولا تجدك هناك هناك. مهما دارت الدوائر وتحرروا من القيود تظل مساحات المعارضة مقيدة أمامهم وهناك خطوط حمراء لا يقتربون منها في العالم العربي والإسلامي تحديداً، ولا أستبعد نظائرها في المجتمعات الغربيَّة. لا أستبعد ولٰكن لا أتوقع.

تجدهم هنا وهناك في حركات المعارضة وأحزابها لأكثر من سبب. أذكر اثنين فقط:

السَّبب الأول أنَّهُم لا يستطيعون أن يمارسوا معارضتهم تحت أيِّ سقف أقلويٍّ حَتَّىٰ لو أتاح لهم القانون ذٰلكَ وحَتَّىٰ لو أتاحت لهم الحريَّة ذٰلكَ، لأنَّهُم إذا أتيح لهم ذٰلكَ بالحريَّة أو القانون فإنَّهُم لا يرغبون في الظهور في هٰذا المظهر. فقط في الأحداث الكبرى والملمات الكبرى يتجيشون هٰذا التجيش للمعارضة تحت سقف الأقلويَّة وباسمها.

السبب الثاني أنَّهُم بوصفهم بشر فإنَّهُم يشعرون مثل الآخرين بالخطأ، بالخلل، ويألمون مثل الآخرين، ولا بُدَّ لهم من متنفس ولو كذباً ليعبروا عن امتعاضهم بطريقة أو بأُخْرَىٰ من طرق الاحتجاج علىٰ السلطة. ولأنَّ انتماءهم

الأقلوي لا يتيح لهم ذلكَ انطلاقاً من أقلويتهم يبحثون عن أقرب الانتماءات ليمارسوا من خلالها غضبهم أو احتجاجهم.

الفكرة التي أود أن أختم بها هٰذا الموضوع هي أنَّ أيَّ معارضة قائمة علىٰ أساس أقلوي هي موضع تساؤل وحَتَّىٰ ريبة من وجهة نظري. بل إنها ستضع نفسها موضع تساؤلات عامَّة وفي مواجهات ليست في مصلحتها من جهة ثانية، ومن جهة ثالثة ستخسر فرص مشاركة الآخرين لهم في همومهم وآلامهم ومعاناتهم وحقوقهم.

محمد حسنين هيكل لم يسقط[١٣]

محمد حسنين هيكل لم يسقط، إِنَّهُ ساقط منذ أيَّام عبد الناصر، إِنَّهُ بطل الفبركات والتَّشويه والهوبرة منذ تلك الأيَّام.

هل ثَمَّة من يذكر ليلة هزيمة ١٩٦٧م عندما قال عبد الناصر للسَّادات لنذهب ونكمل السَّهرة، فقال له السَّادات: وماذا ستقول للشَّعب؟ فقال عبد الناصر: هيكل سيتصرف.

محمد حسنين هيكل منذ بداية الثَّورة السُّوريَّة وَقَفَ مع النِّظام السُّوري شأن أصنام الثقافة العربيَّة، وكان له النَّاصح الأمين. وقد مرَّ معنا الكثير من الموقف والتَّصريحات التي أطلقها منذ بداية الثَّورة، ولٰكنَّ وثيقةً مسرَّبةً ظهرت اليوم نشرها موقع الدُّرر الشَّاميَّة وموقع الخليج أون لاين، كشفت عن معلومات لقاءٍ جمع هيكل مع مندوب محطَّة المخابرات السُّوريَّة في بيته بالعاصمة المصريَّة القاهرة. في هٰذا اللقاء ألحَّ هيكل كثيرًا علىٰ ضرورة بذل كلِّ الجهود من أجل

(١٣) . نشر هٰذا المقال في ٢٠١٤/٩/٢٣م في عدد من مواقع النت والتواصل الاجتماعي.

إخراج سوريا مما وصفه بالمؤامرة الدوليَّة (كذبة أولى)، وقال للمندوب الاستخباراتي إنَّهُ من دون إثبات الإرهاب علىٰ الجماعات المسلَّحة فإنَّ سوريا ستكون هدفًا لما وصفه بالغزو العسكري الغربي (كذبتان معاً).

وإلىٰ جانب النَّصائح السَّابقة وهي واضحةٌ، أضاف شارحاً بالأمثلة ما يجب علىٰ المخابرات السُّوريَّة فعله، فقال: علىٰ المخابرات السُّوريَّة الاستفادة من تجارب عديدة من بينها الجزائر في مواجهة الإسلاميين، والتي نجحت، بحسب هيكل، في تحويل ما يجري من ثورة شعبيَّة إلىٰ إرهاب يحاربه كلُّ العالم.

وهٰذا اعتراف صريح بالثَّورة والكذب في نعتها بما ليس فيها وتشويهها. وتابع هيكل مؤكِّداً هٰذه الحقيقة: بناء هيكليَّة التَّشويه والفبركة بوجوب العمل علىٰ المستوى السِّياسي والإعلامي والعسكري لإقناع المجتمع الدولي أنَّهُ لا توجد ثورةٌ شعبيَّةٌ بل جماعات إرهابيَّةٌ ومرتزقةٌ من السُّعوديَّة وقطر وتونس، ومواجهتهم تندرج ضمن مكافحة الإرهاب الدولي الذي تدَّعي أمريكا مواجهته، بحسب ما جاء في محتوى الوثيقة.

فهل من المستغرب أنَّ هيكل هو عرَّاب الانقلاب العسكريِّ السيسي علىٰ أوَّل نظامٍ منتخبٍ ديمقراطيًّا في مصر؟

خاتمة

ننطلق في الخاتمة من هيكل. المشكلة ليست في الموقف علىٰ ما علىٰ بعض المواقف من سؤال ومسؤوليَّة. المشكلة في وعي الكذب وممارسة بإرادة وتصميم وتخطيط. هنا المصيبة. كتبتُ منذ أيام الثَّورة الأولى: من الممكن أن نبرر لك أن لا تقول الحقَّ لأيِّ سببٍ شئت، ولٰكن من غير الممكن أن نبرر لك أن تدافع عن الباطل.

يمكن القول تجاوزاً: من حقِّ هيكل والتيزيني واللحام وغيرهم أن يقفوا مع النِّظام، هٰذه حريتهم وهم مسؤولون عنها. ولٰكنَّ ما لا يمكن قبوله هو أن يمارسوا الفبركة والكذب والتزوير عن وعي. هٰذا ما لا يمكن قبوله بحالٍ من الأحوال.

هٰذه مشكلتنا مع المثقفين العرب والمعارضين العرب كليهما. كلاهما يمارس هٰذه الازدواجيَّة بل الفصاميَّة إذا أحسنا الظنَّ. إذا أحسنا الظن في المثقف العربي والمعارض العربي فغننا نقول إِنَّهُ يعاني من حالة انفصام شخصيَّة. ولٰكنَّ يبدو أنَّهُ ليس كذٰلكَ، يبدو أنَّهُ صناعة مخابراتيَّة لتسويق الأنظمة، وعند الحاجة تعود إلىٰ عملها الحقيقي؛ مخبرين مهمتهم قمع الشَّعب.

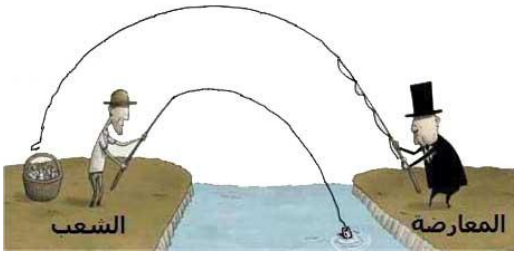

الفصل الثالث

من تجليات
خيانة المعارضة العربية

لا تحدثوني عن الاستثناءات، لا تحدثوني عن فلان وفلان، لا يمكن إلا أن يكون هناك استثناءات، لا يمكن أن يكون الجميع بالمطلق هكذا. يكفي أن يكون الأكثريَّة كذلكَ حتَّى نقوم بالتعميم بضمير مرتاح علميًّا وواقعيًّا.

المعارضة العربيَّة ارتكبت كلَّ أنواع الجرائم بحق الأمة من اعتماد علىٰ الأعداء إلىٰ محاربة الصَّواب ومناصرة الفساد إلىٰ كل ما يخطر في البال ولا يخطر من أنواع الجرائم.

مقدمة

معارضٌ أردنيٌّ يساريٌّ يمينيٌّ شماليُّ جنوبيٌّ طويلٌ عريضٌ رفيعٌ ثخينٌ كان يملأ الدُّنيا معارضة وصياحاً، وله زوايا معارضة للنظام الأردني في بعض الصحف العربيَّة. فجأة سمي وزيراً. أرسل إلىٰ قرائه قائلاً: «انتظروني لن أتأخر عنكم كثيراً فلن أستطيع البقاء في السُّلطة. مكاني في المعارضة».

ما كاد يؤدِّي القَسَمَ حَتَّىٰ كان أشدَّ نفاقاً من المنافقين المحترفين، وراح يدافع عن الأخطاء دفاعاً ماجداً موجداً لأيِّ خطأ من التَّبريرات ما لا يخطر في بال الجن الأزرق.

أمَّا الخليج العربي فلا يعرف شيئاً اسمه معارضة، لا يوجد أيِّ مجال لوجود أيِّ معارضةٍ. ليس لأنَّ الأمور حسنة أبداً، بل لأنَّ عقليَّة الدولة والسُّلطة لا تحتمل مثل هٰذا الوباء، تنتابها مهه حساسية ورعدة وقشعريرة. سمعنا فيما يسمع النائم عن بعض الأشخاص النَّائم عن بعض الأشخاص المعارضين في دول الخليج العربي.

في سياق ما مضى من كلامٍ على المعارضة العربيَّة يستوحي بعض أنَّ هٰذا أمر جيد، مؤشر جيد. هٰذا الكلام غير صحيح. هٰذا ليس مؤشراً جيداً أبداً، بل ليس فيه ما يبعث على الطمأنينة بحال من الأحول.

من غير المعقول أن تقاس الأمور بهٰذه الحديَّة واللامنطقيَّة؛ إذا كانت المعارضة سيئة فعدم وجود المعارضة أفضل. المعارضة أشخاص إما سيئون أو جيدون، أمَّا المعارضة بحد ذاتها فهي ضرورة، ومؤشر وعي حضاري راق. ولٰكنَّ هي عقليتنا اللاوسطيَّة؛ أبيض أو أسود، معي أو ضدِّي!!

أصل المعارضة جملة وتفصيلاً أنَّها اعتراض على خلل، اعتراض على خطأ، اعتراض على فساد، اعتراض لتحريك المجتمع... فقط في هٰذه الحال المعارضة شرعيَّة، أما أن تكون اعتراضاً على الصواب، اعتراضاً على الصح فهٰذا ليس حمقاً ولا غباء ولا خيانة فقط بل جريمة أشنع من أن تتخيل شناعتها.

حسناً، فإذا كان هناك خلل أو فساد فهل يكون الاعتماد على الأعداء جائزاً؟

السُّؤال وحده جريمةٌ. مهما كان الفساد ومهما كانت طبيعة السُّلطة فإن الاستعانة بالأعداء خيانةٌ وجريمةٌ فظيعةٌ شنيعةٌ، ومعرفة الأعداء لا تحتاج إلىٰ تنجيم. أمام الشَّعب حلول وخيارات كثيرة عندما يريد لا يجوز بحال من الأحوال أن يكون الاعتماد على الأعداء من هٰذه الحلول أو الخيارات.

المعارضة العربيَّة ارتكبت كلَّ أنواع الجرائم بحق الأمة من اعتماد علىٰ الأعداء إلىٰ محاربة الصَّواب ومناصرة الفساد إلىٰ كل ما يخطر في البال ولا يخطر من أنواع الجرائم. سنقف عند بعض النماذج.

المعارضة العراقية بداية الفضائح

لا أريد أن أقترب مما فعلته الأنظمة العربيَّة لدعم الأمريكان في احتلال العراق وتحريضهم علىٰ ذَلكَ، وتمويل العدوان فهٰذا أمر أشبع حديثاً وتوضيحاً. أريد أن أتحدث باختصار عن المعارضة العراقيَّة التي كانت حصان طروادة للغزو الأمريكي.

أمريكا تريد احتلال العراق، هٰذا شيء، ولٰكن أن تكون المعارضة العراقيَّة هي التي تستند وتتوسل وتتباكي علىٰ أعتاب البيت البيض كي تقوم أمريكا باحتلال العرق من أجل إسقاط صدام حسين فهٰذا ما لا يخطر في البال.

المعارضة العراقيَّة أول معارضة تنكشف وتنفضح وتضع الفكر العربي أمام تساؤلات عريضة عن حقيقة هٰذه المعارضة. لقد بدا واضحاً حينها أنَّ الموقف طائفي، والغاية طائفيَّة. صبيحة سقوط صدام حسين أعلن عمار الحكيم، أحد أبرز مراجع الشِّيعة وقادتها في العراق عن وجوب أن تعتذر العراق لإيران عن الحرب العراقيَّة الإيرانيَّة وتدفع لها ثمانين مليار دولار تعويضات.

كان هٰذا التَّصريح فاتحة التَّوضيح.

بدا لبعضهم حينها أنَّ الحقيقة خلاف ما يظهر تماماً وأنَّ العلاقات الشِّيعيَّة الأمريكيَّة علاقات حميميَّة أكثر بكثير مما يمكن أن

يتخيَّله الكثيرون، وأنه لا يوجد شيء اسمه عداء بَيْنَ أمريكا وإيران والشِّيعة وأَنَّ الذين جاؤوا علىٰ الدبابة الأمريكيَّة جاؤوا علىٰ دبابات الأصدقاء لاقتلاع الأعداء، ولٰكنَّ أحداً لم يرد أن يفتح مثل هٰذا الباب لأنه ما كان وارداً أن يفتح من هٰذا الحديث الذي يبدو طائفيًّا ويثير فتنة وهلم جرًّا[١٤].

هٰذه المعارضة التي جاءت علىٰ الدبابة الأمريكيَّة ودافعت عن الاحتلال الأمريكي وجعلت إيران تحتل العراق بدهاء شديد قامت أمريكا بتنصيبهم سلطة علىٰ العراق ومكنتهم من السُّلطة رويداً رويداً وقاموا بأشد مما قام به صدام حسين بمليون مرة من القتل والإقصاء والتَّعذيب والاعتقال والتَّشريد والتَّهجير والوحشيَّة بمختلف صورها وأشكالها.

ويزعمون هم والأمريكا والإيرانيون أنَّهُم حقَّقوا الديمقراطيَّة في العراق وهي ديمقراطيَّة تضحك الأموات. وبغض النظر عن أنَّها لا يمكن أبداً ولا بحال من الأحوال أن تكون ديمقراطيَّة فماذا دفع العراق ضريبة أو ثمن هٰذه الدِّيمُقراطِيَّة وأكرر أنَّها لا تمت إلىٰ الديمقراطيَّة بصلة أبداً؟

لنبدأ بالثَّمن. سنرتِّب مفردات الثَّمن ترتيباً منطقيًّا وليس علىٰ أساس الأهميَّة فكل مفردات الثَّمن التي دفعها العراق علىٰ درجةٍ واحدةٍ من الأهميَّة.

أوَّل ما دفع من الثَّمن هو الكرامة، لقد هدرت كرامة العراق بأن أصبح بلداً محتلاً بعدما كان بلداً صاحب سيادة. وفي هٰذا السِّياق فرض الشِّيعة

---

[١٤] . انظر كتابي: **آفاق التمدد الفارسي** . دار العالم العربي . ٢٠١٥م..

أنفسهم عن طريق أمريكا سلطة متفردة في حكم العراق باستبداد أشد، وعلىٰ الرَّغْمِ من أنَّهُم سلطة وينعمون بالسُّلطة إلا أنَّها سلطة بلا سيادة ولا كرامة وكل شيء في الواقع العراقي يشهد بذَلكَ.

ثاني ما دفعه العراق ثمناً للديمقراطيَّة هو أنَّ حكام العراق بعد الاحتلال هم عملاء الاحتلال وعملاء لإيران ولا يستطيعون فعل شيء بعد الأمور الشخصيَّة إلا بموافقة من أمريكا أو إيران أو كليهما.

ثالث ما دفعه العراق من ثمن بفضل هٰذه الخيانة هو قتل الملايين من الأبرياء نساء ورجالاً وأطفالاً علىٰ أيدي جنود الاحتلال بدمٍ باردٍ وزعم أنَّهُم من الإرهابيين، علىٰ أنَّ الإرهابيين هم المقاومون. وقتل آلاف العلماء العظماء علىٰ أيدي إيران وإسرائيل؛ تمت تصفيتهم انتقاماً وتشفياً.

رابع ما دفعه العراق من ثمن هو تشريد الملايين من العراقيين في أصقاع العالم. والمعارضة لا تبالي بذَلكَ لأنها لا تراهم أهلاً ولا أبناء وطن، بل إن المعارضة التي صارت سلطة ساهمت في ذَلكَ إلىٰ حدٍّ كبير.

خامس ما دفعه العراق من ثمنٍ هو الفصل بَيْنَ أبناء الأسرة الواحدة، فمعظم الأُسر العراقيَّة مقسمة ما بَيْنَ العراق ودول العالم الأُخْرَىٰ؛ الأب في بلد، وبعض الأولاد في بلد، وبعضهم في بلد آخر...

سادس ما دفعه العراق ثمناً هو الأمان، فلم يعد من شارع أو حيٍّ في العراق فيه أمان. حَتَّىٰ علىٰ السُّلطة ذاتها وعلىٰ الشِّيعة أنفسهم الذي جلبوا الاحتلال الأمريكي.

سابع ما دفعه العراق من ثمن هو انقسام الدولة إلىٰ دويلات وإمارات وضياع الدولة وتحولها إلىٰ عصابات وميليشيات والتَّقسيم أمر وارد بشدة وهو

قائم بطبيعة الحال ولٰكنَّ من دون اعتراف دولي. ضاعت الدَّولة، الدَّولة التي قضى العراقيون دهراً في بنائها واستقرارها لم يعد لها من وجود، لقد عاد العراق إلىٰ حكم العشائر والقبليَّة والطائفيَّة التي تجاوزها العراقيون منذ زمنٍ بعيدٍ في القرن العشرين.

ثامن ما دفعه العراق من ثمن لهذه الديمقراطيَّة التي جلبها له الأمريكيون هو سرقة الآثار التَّاريخيَّة التي لا وجود لمثلها عند أمَّة من الأمم في أوَّل يوم من الاحتلال وعلىٰ مدار السَّنوات السَّابقة التَّالية للاحتلال[١٥].

تاسع ما دفعه العراق من ثمن للدِّيمقراطيَّة التي جلبها الأمريكيون هو نسف البنى التَّحتيَّة؛ الاقتصاديَّة والسِّياسيَّة والاجتماعيَّة والعلميَّة والتَّعليميَّة والماديَّة... فتراجع العراق مئات السِّنين من التَّخلف الذي يحتاج إلىٰ زمنٍ طويلٍ، ومالٍ كبيرٍ حَتَّى يعود إلىٰ نقطة الصِّفر من جديد. مع ترافق ذٰلكَ في الوقت ذاته مع النَّهب المنظم والعشوائي لأمواله وثرواته من قبل السُّلطة والاحتلالين الأمريكي والإيراني[١٦].

لو أنَّ العراقيين هم الذين دفعوا بإرادتهم وسعيهم وثورتهم علىٰ صدام حسين، وفعل فيهم صدام حسين ما فعلىٰ بشار الأسد في سوريا لما دفعوا ربع ربع هٰذا الثمن.

---

[١٥] . انظر تفاصيل سرقة الآثار العراقيَّة في الفصل المخصوص لهذا الغرض في هذا الكتاب تحت عنوان: تزوير التاريخ باسم الحرية.

[١٦] . مفردات الثمن لهذه موجودة في كتاب: **عالم مجنون؛ المضحك المبكي في السِّياسة الأمريكية** . دار الفكر الفلسفي . دمشق . ٢٠٠٨م.

المعارضة المصرية تنقض على الثَّورة

من كبير المفاجآت أن تنحو المعارضة المصريَّة نحو المعارضة العراقيَّة ذاته بطريقة أُخْرَىٰ. المعارضة المصريَّة التي كان يضرب بها المثل فاجأتنا مفاجأة صاعقة.

رُبَّما تكون المعارضة المصريَّة شاركت في الثَّورة، بل يصعب القول إنَّهَا لم تشارك، ولَكنَّهَا في خطوة لا يمكن تفسيرها انقلبت علىٰ أوَّل شرعيَّة ديمقراطيَّة حرَّة في مصر عبر تاريخها المعاصر. صحيح أنَّ ما كان هو انقلابٌ عسكري ولَكنَّهُ كان محاطاً بشرعنةٍ تامَّةٍ من المعارضة كلَّها بكلِّ أحزابها وأطيافها وحَتَّىٰ أفرادها.

المعارضة المصريَّة هي التي كانت الحاضنة الحقيقيَّة للانقلاب علىٰ الشرعيَّة بالكذب والافتراء والتَّضليل ومحاربة الصواب والحق، ولم يكن شيئاً من ذَلكَ خفيًّا كما يزعم بعض المعارضين بعد وصول الأمور في مصر إلىٰ درجة من المأساويَّة لا يمكن احتمالها ولا تصديقها أبداً.

لا أريد الإطالة في الموضوع المصري، ولا الحديث فيما حدث من مآس لا يمكن تخيلها بعد استلام السيسي للسلطة. أقف فقط باختصار وإلماح إلىٰ جريمة المعارضة المصريَّة التي كانت ترفض كل شيء وتتظاهر يوميًّا وتشوه السُّلطة الشرعيَّة بالكذب والافتراء والتَّضليل[١٧].

يزعم الكثيرون كذباً صريحاً أنَّ الانقلاب عَلىٰ حكم الأخوان، وإسقاط حكم الأخوان كانت نتيجة لإخفاقهم في السُّلطة، أو لكذبهم

([١٧]) . توسعت في الموضوع المصري من جوانب مختلفة وكثيرة في كتابي: **رئيس وأربعة فراعين** . دار أفكار . بيروت . ٢٠١٤م.

في وعودهم، أو لأنَّ محمد مرسي وعد بما سُمِّيَ خطة المئة يوم ولم ينجح فيها، أو بسبب الإعلان الدستوري، وقيل بسبب أخونة الدولة... كلُّ ذَلكَ لا أساس له من الصِّحة، وما ذَلكَ كلُّه إلا الأدوات الظَّاهرة للجريمة التي ارتكبتها المعارضة المصريَّة بحقِّ مصر وبحقِّ الأمَّة. وعلىٰ افتراض صحته كيف يمكن أن تحاسب السُّلطة المنتخبة الشرعيَّة بعد خمسين يوم من استلام السُّلطة؟

السيسي نفسه غير مرَّة، وكرَّر أبواق المعارضة المصريَّة ذَلكَ كثيراً: «الأخوان استخدموا الدِّيمقراطيَّة للوصول إلىٰ الحكم».

غريب!! الديقراطيَّة بالعادة تستخدم لتقشير الشوم والحفر عَلىٰ الخشب، فلماذا هٰذا الغباء من الأخوان؟ أيجعلون الديمقراطيَّة أداةً للوصول إلىٰ الحكم؟

يا عيب (الشوم)؟

هل يوجد أكثر من هٰذا العبط والهبل والغباء؟

هل يوجد أكثر من ذَلكَ اعتداءً عَلىٰ الديمقراطيَّة؟

الأخوان الإرهابيون استخدموا الديمقراطيَّة للوصول للحكم. أمَّا السيسي الوطني الحر فقد استخدم الدبابة والرصاص الحيَّ ضدَّ العزَّل ليصل إلىٰ الحكم!!!

هٰذه هي نقطة الانطلاق التي أقروا بهم جميعاً. وهي وحدها كافية لإدانتهم. لا أطيل في هٰذا الموضوع وأكتفي بمقارنات يعرفها الجميع في هٰذه الفترة عن تعامل المعارضة مع السُّلطة الشرعيَّة التي لم تخطئ والسُّلطة الانقلابيَّة، وهي مقارنات تداولتها مواقع التَّواصل الاجتماعي بكثرة:

أيام محمد مرسي تحدث المعارضون وهم الذين كانوا يسيطرون علىٰ الإعلام المصري عن سدِّ النهضة فصوروا الموضوع وكأنَّ السَّدَّ قد تَمَّ بناؤه وانتهى، وأنَّ مصر ستموت من العطش وأنَّ محمد مرسي هو السَّبب... وفجأة عندما نجح الانقلاب السيسي فإنَّ الإعلاميين أنفسهم صوروا أنَّ المشاركة في بناء سد النَّهضة واجبٌ وطنيٌّ وديني وأخلاقيٌّ... ما هٰذا؟ وفي هٰذا السِّياق ذاته تحدث الرئيس المصري عبد الفتاح السيسي مؤخراً عن الموضوع قائلاً: إنَّ أثيوبيا كانت تعيش حالة رعب من تهديدات (مرسي) وأنا طمأنتهم[١٨]!!!

أيام محمد مرسي صوروا مشروع تنمية قناة السويس الذي طرحه محمد مرسي عَلىٰ أنَّهُ مؤامرة لبيع مصر ورهنها للخارج... وفجأة عندما نجح الانقلاب هم أنفسهم صوروا مشروع تنمية قناة السويس الذي هو مشروع محمد مرسي بأنَّهُ مشروع قوميٌّ... ونهبوا الشَّعب المصري من أجل البدء بالمشروع... وإذا به كذبة لا أساس لها من الصحة.

أيام محمد مرسي كانت تنقطع الكهرباء نصف ساعة أو ساعة فيثيرون الجماهير ووسائل الإعلام ويتهمون محمد مرسي شخصيًّا ويطالبون بمحاسبته شخصيًّا... بعد الانقلاب صارت تنقطع الكهرباء ساعات يوميًّا فصاروا أنفسهم يقولون: من لا يعجبه فليغادر مصر، من أراد أن يعيش في مصر عليه أن يتحمل... بل إنَّ بعضهم ذهب إلىٰ

---

(١٨) . طمأنهم بالموافقة علىٰ بناء السد من دون أي شروط أو ضمانات وهو السد الذي سيكون الحبل الذي يلتف حول عنق مصر والسودان التفافاً أكثر من خطير وموضوع السد وحد مأساة لا يمكن تصديقها إلىٰ جانب مئات المآسي التي خلقها الانقلاب الذي مهدت له المعارضة المصرية وأعطته الشرعية.

اتهام محمد مرسي أيضاً بافتعال الأزمة وهو وكل قادة الأخوان في الزنازين من أول يوم في الانقلاب!!!

عندما بدأت بوادر أزمة الكهرباء في مصر طرح مرسي مشروع بناء محطات نوويَّة لتوليد الطاقة الكهربائيَّة بحيث تكفي مصر وتصدر الكهرباء، وعندما استلم السيسي قال: «أنا لن أقول لك لا تشعلوا اللمبات... أقول لكم لو كل واحد بَدَّلَ اللمبات العاديَّة بلمبات توفير فكم سنوفر من الكهرباء يا ترى؟!».

الموضوع طويل وما حدث بعد ذَلكَ مأساة لا حدود لها. كلها لولا موقف المعارضة المصريَّة بكل أحزابها وأطيافها من التَّحريض والتَّجييش ومحاربة الشرعيَّة بالكذب والافتراء والتَّضليل لما كان ما كان.

المعارضة التونسية تنقلب على الثَّورة[١٩]

المعارضة التونسيَّة كانت نسخة من المعارضة المصريَّة في التَّعامل مع أول سلطة منتخبة ديمقراطيًّا في تاريخ تونس. نجح الإسلاميون أيضاً في الانتخابات التَّشريعيَّة ومن ثمَّ السُّلطة، وهاجت المعارضة وماجت ولم تهنأ ولم تهدأ. منذ البداية وقبل أيِّ عمل بدأت حملة التَّشكيك والطعن والاستعجال والتَّشويه علىٰ الرَّغْمِ من كل الخطابات والممارسات العقلانيَّة للإسلاميين التونسيين في السُّلطة.

مثل مصر تماماً أيضاً، في مصادفة تاريخيَّة لا تتحق إلا في العالم العربي ورُبَّما الإسلامي أيضاً وهو أن تكون معارضة النِّظام السَّابق هي معارضة السُّلطة الثَّورة، وتنقلب علىٰ السُّلطة الثَّوريَّة وتعيد النِّظام السَّابق.

---

(١٩) . نشر هذا المقال في ٢٠١٤/١٢/٢٢م في عدد من مواقع النت والتواصل الاجتماعي وهو منشور بضيغته الأولى في كتابي: انهيار النِّظام العربي . دار أنهار . بيروت . ٢٠١٤م. .. الشَّعب العربي هو المشلول

ظاهرة لا نظير لها في تاريخ البشر علىٰ الإطلاق إلا في العالم العربي. حدث ذَلكَ مصر وفي تونس:

المعارضة المصريَّة التي كانت ضد نظام حسني مبارك هي ذاتها صارت معارضة للسُّلطة الشرعيَّة الديمقراطيَّة الأولى في تاريخ مصر، وقادت الانقلاب عسكريًّا علىٰ هٰذه السُّلطة وأعادت النِّظام السَّابق بحذافيره.

المعارضة التونسيَّة التي كانت ضد نظام زين العابدين بن علي صارت معارضة للسُّلطة الشَّرعيَّة الديمقراطيَّة الأولى في تاريخ تونس، وقادت الانقلاب علىٰ هٰذه السُّلطة وأعادت النِّظام السَّابق بحذافيره.

تزامن المعارضتان في ذَلكَ معاً، فقد انتصرت، علىٰ أساس انتصرت، الثَّورتان في وقت واحد تقريباً، وسارتا معاً في حملة الطعن والتَّشويه والتَّشكيك.

الغريب فيما يبدو، وقد بينا لماذا في الفصل السَّابق، أنَّ معارضة زين العابدين بن علي مثل معارضة حسني مبارك، تهيمن علىٰ وسائل الإعلام وصناعة الرأي العام في تونس ولذَلك استطاعت شحن الرأي العام والتَّحكم به وقيادته إلىٰ الانقلاب علىٰ السُّلطة في الانتخابات وإعادة نظام زين العابدين مثلما هو تقريباً، حَتَّىٰ بدا من نتائج انتخابات الجولة الأولى والثانية أنَّ الشَّعب التونسي نادمٌ علىٰ قيامه بالثَّورة علىٰ الاستبداد، راغبٌ في العودة إليها، بعد أن عاد المصريون إليها.

في الانتخابات التَّشريعيَّة والرئاسيَّة فاز نظام زين العابدين. بل فاز بالرئاسة باجي القائد السبسي أحد أبرز رجالات نظام زين العابدين بن علي الذي ثار

عليها التونسيون أنفسهم، التونسيون هم الذين ثاروا علىٰ بن علي وخلعوه وليس الزيمبابويين. وفوق ذٰلكَ عمره ٨٩ عاماً مع ملحقات الهرم من الزهايمر وخرف الشيخوخة وعدم القدرة علىٰ التَّركيز ولا الضبط ولا التَّحكم... وحَتَّىٰ الكلام المفيد.

انتصر فعلاً الباجي قائد السِّبسي... بن علي عاد، بن علي عاد... هٰكذا صرخ الكثيرون قهراً. تذكيراً بأشهر صرخة ثوريَّة: بن علي هرب، بن علي هرب...

بعضهم يبرر فوز السِّبسي والنِّظام السَّابق بالأموال الخليجيَّة التي أنفقت له والتي قيل إنها تكفي لنجاحه في رئاسة أمريكا وليس تونس.

صحيح تماماً أنَّهُم فعلوا ذٰلكَ. وصحيح أنَّ لذٰلك أثراً. ولٰكنَّ الصَّحيح تماماً أيضاً وأكثر صحة هو أنَّ هٰذه هي نتائج ممارسة المعارضة التونسيَّة أحزاباً وحركاتٍ وأفراداً.

كان من الطبيعي تماماً أن تكون من نتائج عودة نظام بن علي الوقوف ضد الثَّورة السُّوريَّة، ضد الثوارات. وبالفعل ما إن تَمَّ إعلان النَّتائج حَتَّىٰ أعلن قادة حملة السِّبسي أنَّ السِّبسي والسِّبسيون سيصحِّحون الجريمة الكبرى في تاريخ تونس ويعيدون الأمور إلىٰ نصابها، مثلما صحَّح السِّيسي والسِّيسيون الجريمة الكبرى في تاريخ مصر وأعادوا كلَّ الأمور إلىٰ نصابها؛ كلاهما أعاد رجال النِّظام القديم الذي قامت ضدَّه الثَّورة، كلاهما أعاد العلاقات مع النِّظام السُّوري واعترف به ممثلاً شرعيًّا ودستوريًّا للشعب السُّوري، كلاهما دعم حفتر ليقوم الحفتريون بتصحيح المسار وإعادة الأمور إلىٰ نصابها في ليبيا...

كل ذلكَ بعقيدة المعارضة وسلوكها وفلسفتها، هٰذه المعارضة التي كانت معارضة لنظام بن علي وانقلب علىٰ الثَّورة التي ثارت علىٰ بن علي وأعادت نظام بن علي... نكتة، أحجية، لغز، متيه، تهريج، هستريا، تحشيش... شيء لا يخطر في بال الجن.

المعارضة السورية تحارب الثَّورة

من غريب المفارقات وعجيبها هنا أنَّ أكثر شهداء الثَّورة من البعثيين، وكثير من ثوار سوريا من البعثيين، في حين أنَّ أحزاب المعارضة التي كانت تملأ الحي معارضة وانتقاداً وصياحاً لم تشارك في الثَّورة بل إنَّ أحزاب المعارضة بقيادتها وبناها العامة وقفت ضدَّ الثَّورة وما زالت تقف ضد الثَّورة، فيما الأفراد لا يمكن إنكار تفاوتهم وتباينهم في ذٰلكَ فمنهم من هو من أهم وأشد الثائرين ومنهم ما هو في صف قيادته.

الفكر في البنية وليست في أشخاص ينتمون إلىٰ الأحزاب: المعارضة السُّوريَّة أحزاباً وأعلاماً ومفكرين ومثقفين وقفوا ضدَّ الثَّورة إلا أقل قليل إلىٰ درجة الندرة. بل إنَّ من حسبوا علىٰ المعارضة من مفكرين وأعلام لم يكونوا معارضةً في الأصل، وهم تقريباً الذين حافظوا علىٰ نقائهم وظلوا مهمشين لا قيمة لهم ولا دور.

الحقيقة التي يجب أن يدركها الجميع هنا أنَّ الثَّورة هي ثورة سوريين معظمهم ينتمون إلىٰ حزب البعث الحاكم بل الذي احتكم السلطة باسمه، وطالبوا أوَّل ما طالبوا بسقوط حزب البعث. وهٰذه المناداة بسقوط أو إسقاط البعث أغرت طيور الظَّلام للمناداة بإقصاء البعثيين، وحرمانهم من الحياة لا الحياة السِّياسيَّة وحسب.... وصارت ترتفع هٰذه الأصوات

في الأيَّام الأخيرة بطريقة فجَّةٍ، لا تمييز فيها بَيْنَ الطيخ والبطيخ، ولا بَيْنَ الخمسة والطمسة[٢٠]...

كان البعثيون أوَّل من شارك في الثَّورة وأكثر من شارك فيها، وهم أنفسهم الذين صاروا إسلاميين. أمَّا الأحزاب الأُخْرىٰ المعارضة فمعظمها ما زالت قلباً وقالباً، جملةً وتفصيلاً، مع النِّظام وضدَّ الثَّورة. وبعضها بالكاد تجد عضواً منها مناصراً للثورة وليس مناصراً للنظام. وبفلسفة الانتهازيَّة وجدوها فرصةً لركوب الثَّورة واستثمارها علىٰ اعتبار أنَّ الثَّورة هي علىٰ النِّظام البعثي، ومن ثَمَّ يجب إقصاء الجميع، ومحاسبتهم...

هٰذا الكلام من صلب الواقع السُّوري، والواقع والحقائق هي التي تثبته:

انظروا في الشُّهداء كم نسبة البعثيين منهم وكم نسبة أحزاب المعارضة كلها؟

انظروا في المعتقلين بسبب الثَّورة كم نسبة البعثيين منهم وكم نسبة كل أحزاب المعارضة؟

انظروا إلىٰ المفصولين منهم من عملهم وكم نسبة البعثيين منهم وكم نسبة أحزاب المعارضة الأُخْرىٰ؟

انظروا إلىٰ المشرَّدين خارج سوريا وداخلها وكم نسبة البعثيين منهم وكم نسبة الأحزاب الأُخْرىٰ؟؟؟

انظروا إلىٰ وأوضاع المشردين السُّوريين داخل سوريا وخارجها وانظروا أيٌّ منها الأسوأ حالاً وأيٌّ منها الأحسن حالاً... ومن الذين

---

(٢٠) . هٰذا المقطع وبعض ما يليه من مقال نشر في ٢٠١٤/٦/١٧م تحت عنوان أحزاب المعارضة والثَّورة.

يـذوقون العـذاب ومـن الـذين يسـرقون أمـوال الثَّـورة ويتنعمـون بهـا في أرجـاء العالم؟؟

أتحدث عن نسب لا عن أعداد لأنَّ الأعداد قطعاً أكبر من أن تقارن.

هٰذا ليس دفاعاً عن البعث، ولٰكنَّهُ دفاعٌ عن الحقيقة التي لا يجوز السُّكوت عليها، دفاعٌ عن ملايين البعثيين الذين حملوا الثَّورة علىٰ أكتافهم ودمائهم وجاء من ينتهز المعطيات الملتبسة ليجني ثمار تضحياتهم... غالباً فإنَّ هٰؤلاء البعثيون أنفسهم طلقوا الحزب، ولٰكنَّ طلاقهم له لا يعني السَّماح بالصَّيد في الماء العكر واستثمار تضحياتهم ودمائهم من أناس رُبَّما حَتَّىٰ الآن لم يشاركوا في الثَّورة، وقيادتهم في أحضان النِّظام. ولا نريد أن نستفيض هنا كثيراً كي لا نقلِّب مواجع ليس هٰذا أوانها.

أمَّا المعارضة التي ركبت الثَّورة وصارت هي قيادات الثَّورة فقصَّتها لا تقلُّ سوءاً عن المعارضة التَّقليديَّة. لا أريد الإطالة فيها لأنها أكثرها نكرات لا أحد يعرف أين كانوا ولا من أين جاؤوا ولا كيف صاروا هم قيادات الثَّورة السِّياسيَّة؛ حقيقة لا نعرف علىٰ من نحسبهم؛ أنحسبهم علىٰ اللصو أم علىٰ المتسلقين أم علىٰ المعارضة أم علىٰ ماذا؟! حقيقة لا ندري. يمكن أن يكونوا أي شيء إلا أن يكونوا مع الثَّورة.

مـع إدراكهـم واعترافـاتهم المـؤخرة بجهلهـم وإخفاقـاتهم وعـدم درايـتهم فـإنهم ظلـوا متمسـكين بالاسـتمرار في الهبـل والخبـل وتخريـب الثَّـورة وسـوريا وتـدميرها والقضـاء علـىٰ مـن بقـي مـن أهلهـا مـن أجـل فقـط أن يظلـوا متخـوزقين علـىٰ كراسـي المسـؤوليَّة والسـفر والعـيش في الفنـادق علـىٰ حساب دماء السُّوريين وعذاباتهم...

نحو خمس سنوات وهم يعتاشون على دماء الشهداء ويزعمون أنهم قيادات ناطفقة ومفاوضة باسم الثَّورة وتجلب الدعم للثورة فيما كانوا يسرقون كل شيء حَتَّىٰ علبة حليب الطفل الرضيع ابن الشهيد والشهيدة.

لم يفهموا شيئاً مما دار ويدور وظلوا يكذبون ويخدعون على مدار خمس سنوات تقريباً هي ما مضى من عمر الثَّورة. وعندما اعترفوا بجهلهم وغبائهم ظلوا مصرين علىٰ إقصاء الجميع وعدم الاستماع إلىٰ أحد والمضي في الخيانة... الخيانة العظمى هي التي قاموا ويقومون بها. ولذلك كتبت منذ ثلاث سنوات وكررت: لا يمكن أن تنتصر الثَّورة إلا عندما تحاكم قيادات الثَّورة ميدانيًّا.

لا يوجد قيادة للثَّورة، توجد قيادات. ولهذا وحده أكبر مأساة. ومع ذَلكَ ذَلكَ، وكما يقول المثل العاميُّ: «رضينا بالبين والبين ما رضي فينا»، فإنَّ هٰذه القيادات الثَّوْرَية السِّلميَّة والسِّياسيَّة والعسكريَّة والسَّنكريَّة كلها، كلها وأكاد أقول من دون استثناء، ليست أهلا للقيادة وتصرُّ علىٰ أن تكون هي القيادة...

اتَّسمت قيادات الثَّوْرَة السلميَّة في البدايات فقط بالحماسة والاندفاع والإخلاص والصِّدق والنَّوايا الشَّريفة النَّظيفة، ولٰكن في الوقت ذاته افتقرت هٰذه القيادات منذ بداية الثَّوْرَة إلىٰ الوعي السِّياسي والتَّقدير الصَّحيح لمجريات الأمور والتَّخطيط والتَّدبير والتَّفكير... وبعد سنةٍ ونصف أو أو أكثر قليلاً تعمقت معضلة هٰذه القيادات أكثر فالقيادات الأولىٰ الصَّادقة الشَّريفة النَّظيفة ماتت أو اعتقلت أو تشرَّدت واستلم

عنها من اتَّسم بالمساوئ السَّابقة وأضاف إليها مساوئ جديدة من الوصوليَّة واللصوصيَّة والتَّسلُّق... وسينجم عن هٰذه التركيبة الجديدة الممارسة الإقصائيَّة لكلِّ الكفاءات والمهارات ولكلِّ من يريد أن يعمل بصدقٍ وإخلاصٍ لأنَّ وجود هٰؤلاء يفضح سطحيتهم وسائر معايبهم الأُخْرىٰ.

هٰذا الحكم عامٌّ غير مطلق. عامٌّ أي إنَّ أكثريَّة القيادات من هٰذا القبيل... أي إنَّ الأمر لا يخلو... أقول لا يخلو من وجود بعض القيادات الشَّريفة والمختصَّة والكفوءة في أيِّ مجالٍ من المجالات: الثَّوْرَية والسياسيَّة والعسكريَّة والحقوقيَّة والطِّبيَّة والإغاثيَّة... إلىٰ آخر ما هنالك. ولٰكن أذكر من جديدٍ هم القلة القليلة بَيْنَ تراكم أصحاب عقد النقص والاستعراض والزعامة والفخامة... ولذٰلك لن يكون لهم أيُّ تأثير.

حسناً، هنا المشكلة التي يجب تسليط الضَّوء عليها. إنَّ أشخاصاً بهٰذه المواصفات لا يمكن أن ينتجوا نتائج صحيحة علىٰ الإطلاق، بل إنَّ بعضاً غير قليل منهم صار من مخطَّطاته أن تدوم الثَّوْرَة، أن تطول المأساة، أن تتفاقم المعاناة، لأن منفعتهم ومصالحهم تتحقَّق بهٰذه الدِّيمومة، وإنَّ توقف الثَّوْرَة بأيِّ حالٍ هو قطع شريان الفساد الذين يعتاشون عليه.

هٰذا لا يعني أن الثَّوْرَة علىٰ خطأ. ولا أنَّ الشَّعْب السُّوري سيءٌ. أبداً. ثَمَّة تقاطعات كثيرة أدَّت إلىٰ ذٰلكَ، من طرف النِّظام من طرف الآخرين... وكانت النُّفوس المريضة والضَّعيفة والفصاميَّة كلها جاهزة لتلقف هٰذه الفرصة أو الانجراف في التيار الذي سيقوا إليه، وبعضهم لم يكن بحاجة لمن يقوده إلىٰ هٰذا المسار لأنَّهُ كان يصنعه بنفسه.

لا أريد الحديث في المعارضة العربيَّة وطبيعتها وكفاءاتها وفلسفاتها ووقفتها الشولاء ضدَّ الثَّوارات العربيَّة!!!... فهٰذا موضوعٌ طويلٌ أفردتُ له كتاباً كاملاً. ولذلك قلت: أدعياء المعارضة ولم أقل المعارضة. ثَمَّة فرقٌ بَيْنَ الفنائين.

مما أوضحته غير مرَّةٍ منذ عام ٢٠١٢م أنَّ الظُّروف القاهرة للشَّعب السُّوري اقتضت منه تفويض من يمثله في الخارج من الخارج لمخاطبة الخارج... وإذ بهم جميعاً من الخارج إلىٰ الخارج، كانوا في خارج ودخلوا إلىٰ خارج وضيعوا كل المخارج... مع استثناءات قليلةٍ بل نادرةٍ ندرة اجتماع المال والعقل والجمال في امرأة معاً.

منذ بدء تشكيل المجلس الوطني تبين بوضوح أنَّ بنية التَّركيب خاطئة، فلسفة المجلس خاطئة، الأشخاص الذين تَمَّت لملمتهم من شوارع أوروبا هم الأشخاص الخطأ... منهم من غادر سوريا وعمره عشر سنوات ومع ذٰلكَ راح يبيض علينا بطولات ثوريَّة واعتقالاتٍ وملاحقاتٍ كان يتعرَّض لها... وكلُّها كذب، هشت بهشت، لا أساس لها من الصِّحة... ولٰكنَّهَا (بريستيج) لا بُدَّ منه للظهور في برواز المعارضة.

تَمَّ نسف المجلس الوطني من أجل إنشاء الإئتلاف الذي كان نسخة من المجلس الوطني في الأوصاف السَّابقة وربَّما زاد الطين بلة بأخطاء مصائبيَّة كارثيَّة في حقِّ الثَّوْرَة وسوريا شعباً وأرضاً وتاريخاً.

لا أريد الدُّخول في تفاصيل مؤلمةٍ وهي كثيرةٌ جدٌّ كثيرةٍ. أختم فقط باعترافاهم في الأيَّام الأخيرة، من أجل تفسير عدم فاعليتهم وإخفاقهم علىٰ مدار السَّنوات الثلاث السَّابقة، بأنَّهُم ليس فيهم خبراء تخطيط ولا تنظيم ولا

حَتَّىٰ فهم، ولهذا عادي لأنَّهُم، مع تحفظ علىٰ نحو اثنين بالمئة، نكرات لا تاريخ لهم. حاولوا تعلم الفهم والمعارضة بدماء السُّوريين وعذاباتهم، ويا ليتهم تعلَّموا شيئاً. ومع اعترافهم بعدم الفهم والافتقار إلىٰ الخبرة فإنَّهُم مصرُّون علىٰ المضي في ادعاء قيادة الثَّوْرَة!!!

مضطرٌّ لتمديد الخاتمة بذريعتهم السَّخيفة بأنَّ نظام البعث جرَّف الحياة السِّياسيَّة والوعي السِّياسي علىٰ مدار خمسين سنة، من أجل تسويغ الغباء والأخطاء، ولهذا وهمٌ. الكفاءات أكثر من كثيرة ولٰكنَّهُم أنانيون لم يمانعوا من تدمير سوريا وقتل شعبها من أجل تفريغ عقد النَّقص واللصوصيَّة.

المعارضة السُّوريَّة التي طالما أشدنا بوعيها نضجها مقارنة مع المعارضة العربيَّة كانت مثل المعارضات العربيَّة كله إن لم تكن أسوأ منها. الحديث في هٰذا أمر يطول ويطول بطول الثَّورة السُّوريَّة وكثرة ضحاياها قتلاً وتشريداً وتدميراً...

عقلية الأُمَّة[٢١]

هٰذه العقليَّة تستحقُّ وقفة طويلة لا قصيرة. ولهٰذا أمرٌ يستحقُّ أن تفرد له دراسة مستقلة، ولٰكنِّي أقتطع الفقرة الأولى من الفصل الأول من كتابي قضايا الفكر العربي المعاصر التي أقف فيها عند عقليَّة الأمة في حالة التَّخلُّف فقط، وهي أيضاً وقفة قصيرة مكثفة.

إنَّ عبارة «الشَّرق شرقٌ والغرب غربٌ ولن يلتقيا» التي أطلقها يوماً **رديارد كبلنج** باتت مقولةً حضاريَّةً أظنُّها من المسلَّمات. إنَّها

(٢١) . المقطع الأول من الفصل الأول من كتابي: **قضايا الفكر العربي المعاصر** . جامعة تشرين . اللاذقية . ٢٠٠٦م.

ليست انتقاصاً ولا مدحاً لأيٍّ من الطَّرفين كما يحاول الكثيرون أن يصوِّروا، إنَّها تصويرٌ لعقليَّات الشُّعوب أَو الأمم. قد لا تكون كافيةً ولكِنَّها معبِّرةٌ. والحديث في أبعاد هذه المقولة أمرٌ يطول بنا، ولكنَّنا لا نستطيع إلا أن نأخذها بعينِ النَّظر.

ليس **كبلنج** هو من أطلق هٰذه العبارة بفحواها وإنَّما هي راجعةُ الجذور كثيراً إلىٰ الوراء، يمكننا أن نستذكر هنا حديث **ابن خلدون** في أثر الجغرافيا علىٰ الأخلاق والعادات الذي لا يبتعد كثيراً عما ذهب إليه **كبلنج** في المبدأ.

ليس يعنينا من هو الأسبق في ذَلكَ، ولن نقف عند أبعاد هٰذه العبارة ودلالاتها لأنَّ ذَلكَ أمرٌ يطول بنا كما أشرنا، وإنَّما سنعود باستقراء لما مضى من تاريخ الشَّرق والغرب، تاريخ العرب خاصَّة وتاريخ الغرب خاصَّة، برؤيةٍ مقارنةٍ لسلوكات للشَّعب العربي والشَّعب الغربيِّ في حالاتهما التَّاريخيَّة الكبرى.

في إطار التَّاريخ المكتوب والمعروف جيِّداً إلىٰ حدٍّ ما، مرَّ العرب بطورين من الحضارة والسِّيادة علىٰ العالم، وطورين من التَّخلُّف والتَّقهقر. وفي المقابل مرَّ الغرب أيضاً بطورين من التَّخلُّف وطورين من الحضارة والسِّيادة.

خصائص العرب في التَّخلُّف

يمتاز العرب ورُبَّما دون أمم الأرض بأنَّهُم في حالة التَّخلُّف يتَّصفون بالصِّفات التَّالية:

أولاً: تكثر فيهم خيانة الحكام الصَّريحة والاستعانة بالأجنبي والعمالة له.

ثانياً: تآمر الحكام العرب مع الأجنبي علىٰ الحكام العرب الآخرين.

ثالثاً: هجرة العلماء والكفاءات العربيَّة إلىٰ الأمم الأُخْرَىٰ والاندماج بها اندماجاً تامًّا غالباً.

رابعاً: سيادة اليأس والإحباط والاستسلام والانهزاميَّة علىٰ عامَّة النَّاس.

خصائص الغرب في التَّخلُّف

في المقابل وجدنا أنَّ العالم الغربي متمثلاً بأوربا قاطبةً تمتاز في حالة التَّخلُّف بالصِّفات التَّالية:

أولاً: الانغلاق وعدم الثِّقة بالأجنبي (الشَّرق).

ثانياً: الصِّراع الدَّاخلي مهما تطور يظلُّ داخلياً ولا يستعين بالأجنبي (الشَّرق).

ثالثاً: انعدام هجرة الكفاءات والعلماء إلىٰ العالم المتطور واستعدادها للموت في سبيل أفكارها.

رابعاً: تنامي روح الفروسيَّة والاعتداد بالذَّات بَيْنَ عامَّة النَّاس.

في حال التَّطور والحضارة والسِّيادة يكون الأمر مختلفاً، ولكنَّهُ مرتبطٌ بهٰذه البنية السَّابقة ومنبثقٌ عنها.

قد يعترض قليلون أو كثيرون علىٰ هٰذا التَّصوُّر لهٰذه الصِّفات. الأمر متاحٌ للاعتراض. ولٰكن يستحسن التَّروِّي في قراءة التَّاريخ. ليس ثَمَّةَ أسرارٌ ولا استثناءاتٌ مفارقةٌ للواقع، أليس هٰذا ما يحدِّثنا عنه التَّاريخ من أخبار. كيف كان حال قبائل العرب قبل الإسلام؟ ألم يكن علىٰ الأقل ثَمَّةَ انقسامٌ بَيْنَ غساسنةٍ ومناذرةٍ؛ عملاء للرُّوم وعملاء للفرس، مهمتهم تأديب القبائل العَربيَّة الَّتي تقع

في فضاء سيادتهما؟ ألم يكونا سياجاً حامياً للرُّوم والفرس من القبائل العَربيَّة الأُخْرَىٰ؟

بعد الإسلام تغيَّرت الأمور وانتقل العرب إلىٰ طورٍ آخر حَتَّى أواخر الدُّولة العباسيَّة. وماذا حدث مع أواخر الدُّولة العباسيَّة؟ أليس هو ما حدث قبل الإسلام ويحدث حَتَّىٰ اليوم من عمالةٍ للأجنبي والاستعانة به علىٰ الأخ الشَّقيق؟

إذا نظرنا إلىٰ أوروبا قبل نهضتها الإغريقيَّة، وبعد انهيار الدُّولة الرُّومانيَّة هل نجد شيئاً من هٰذه الممارسة العَربيَّة؟ رُبَّما نجد شيئاً من ذلك. ولٰكنَّهُ من قبيل النُّدرة النَّادرة، وبالتَّأكيد سنجد صعوبةً بالغةً في إيجاد شاهدٍ على ذٰلكَ؛ فمن هو الحاكم الأوروبيُّ الذي استنجد بخليفةٍ من الخلفاء علىٰ امتداد الدُّولة الإسلاميَّة؟ ومن هو العالم أَو الكفاءة العلميَّة الأوروبيَّة الَّتي جاءت إلى العالم العربي واندمجت فيه اندماج **ابن سينا** أَو **الفارابي**؟ لن نجد أحداً بالتَّأكيد شبه اليقيني. ولٰكنَّنا سنجد ممارسةً أَو ممارساتٍ تشبه ما تمارسه الولايات المتَّحدة اليوم في العالم العربي من رفع ووضع وفرض هيمنة...

هٰذه حقائقُ مسجَّلةٌ ونحن نجمع ما بَيْنَها من خيط وحسب. بل الطَّريف أنَّ أدبياتنا العَربيَّة تكاد تختزل لنا هٰذه الخصائص عندما تصوِّر أنَّ العرب لا حدود وسطى عندهم فإمَّا القمَّة أَو الحضيض، إمَّا كلُّ شيءٍ أَو لا شيء. ولَعَلَّ في قصيدة **أبي فراس الحمداني**[٢٢] معللتي بالوصل ما يعبر عن ذٰلكَ خير تعبيرٍ:

---

(٢٢) . من المؤكد أنَّ أبا فراس الحمداني لا يمثل عقلية الأمة، ولٰكنَّ مثل هٰذا القول الذي تحول إلىٰ حكمة يرددها أبناء الأمة من أقصاها إلىٰ أدناها هو الذي يسوغ التعميم.

مُعَلِّلَتِيْ بِالْوَصْلِ وَالْمَوْتُ دُوْنَهُ
إِذَا مِتُّ ظَمْآناً فَلا نزلَ القَطْرُ

وكذلك قوله:

وَنَحْنُ أُنَاسٌ لا تَوَسُّطَ بَيْنَنَا
لَنَا الصَّدْرُ دُوْنَ العَالَمِيْنَ أَو القَبْرُ

الدَّلالة واضحةٌ، وإذا نقبَّنا تنقيباً سريعاً تصفحيًّا في أدبيات قيمنا وحكمنا وأمثالنا لوجدنا الكثير الكثير مما يؤكِّد هٰذه القراءة.

الحقيقة أنَّهُ لا يمكن اختزال خصائص الأُمَّة بهذه الخصائص سيَّان في التَّحضُّر أَو التَّخلُّف، ولكِنَّها بالتَّأكيد خصائص يجب أن تكون حاضرةً في أذهاننا لدى أيِّ محاكمةٍ أَو دراسةٍ لما هو عليه حال العرب اليوم من تشرذمٍ وخضوعٍ للأجنبي وتآمر مع الأجنبيِّ على الأشقاء.

على أيِّ حال هذه صورةٌ أَو توصيفٌ وليست تفسيراً، ولا قراءة سببيَّة لما يحدث[٢٣]. ولكنَّ الذي تجدر الإشارة إليه هنا هو أنَّهُ لا يجوز حمل هٰذه الخصائص والصِّفات محامل القدح أَو المدح، ولا التَّقليل من قيمة الأُمَّة أَو قيمها أَو أخلاقها، ولا حَتَّى الرَّفع من شأنها. لأنَّ حالة التَّخلُّف هي حالة انعدام توازن تمرُّ بها الأُمَّة أَو الشَّعب. إنَّ أكثر ما

(٢٣) . تفسير هذه الخصائص وأسبابها هو موضوع دراسة طويلة، وقد بدأنا هذه المحاولة في كتابنا: **انهيار مزاعم العولمة** . اتحاد الكتاب العرب . دمشق . ٢٠٠٠م. ويوجد متابعة لها في كتابي: **العرب أعداء أنفسهم** . دار الفكر الفلسفي . دمشق . ٢٠٠٤م. وأيضاً في كتابي: **العرب جثة تنهشها الكلاب** . دار الفكر الفلسفي . دمشق . ٢٠٠٩م، وكذلكَ في كتابي: **انهيار النِّظام العربي** . دار أفكار . بيروت . ٢٠١٤م.

يعنينا هنا هو محالة الإفادة قَدْرَ الإمكان من فهم هٰذه الظَّاهرة في التَّعامل مع واقعنا.

خاتمة

لا تحدثوني عن الاستثناءات، لا تحدثوني عن فلان وفلان، لا يمكن إلا أن يكون هناك استثناءات، لا يمكن أن يكون الجميع بالمطلق هكذا. يكفي أن يكون الأكثريَّة كذلكَ حَتَّىٰ نقوم بالتعميم بضمير مرتاح علميًّا وواقعيًّا.

لا أريد أن أقفز إلىٰ الفيزياء لأقول حَتَّىٰ قوانين الفيزياء المطلقة مخترقة بالارتياب والنشاز، فكيف بمادة العلوم الاجتماعيَّة والموضوعات المعياريَّة كلها وهي غير قابلة للقياس.

أي أكثريَّة تقترب من الثلثين تجيز التَّعميم في الموضوعات المعياريَّة، في مواد العلوم الاجتماعيَّة أو موضوعاتها... أعني الموضوعات القيميَّة عامَّة. ومن هٰذا الباب كان تعميم الحكم علىٰ المعارضة العربيَّة في خيانتها مختلف مساويات الخيانة وأنواعها. ما فعلته خيانة بكل المعايير. والأكثريَّة المطلقة منها التي تزيد عن التسعين بالمئة ارتكبت هٰذه الجريمة بحق الوطن والأمَّة بما احتواه الوطن واحتوته الأمَّة.

وقفنا عند نماذج صريحةٍ معاشة ليست مستخرجة من بطون التاريخ القريب ولا البعيد؛ كلها نماذج نعيشها اليوم بوضوح يفقأ عين الجاحد أو المنكر أو المشكك، وإذا أردنا التعمق أكثر وجدنا أنَّ المصيبة أكبر وأخطر.

الأمر إذن لا يتوقف عند هٰذه النماذج بحال من الأحوال، المعارضة العربيَّة كلها من المحيط إلىٰ الخليج نسخة واحدة تقريباً، وكلها تقريباً وقفت ضد

الثَّورات، وهٰذه المعارضة المعنيَّة هنا غالباً هي اليسار العربي الذي سبق الكلام فيه في هٰذا الكتاب.

وقوف هٰذه المعارضة ضد مع الأنظمة التي كانت تزعم أنَّها تعارضها كان في أحد التصورات خوفاً من وصول الإسلام السِّياسي إلىٰ السُّلطة، وصول الإسلام السِّياسي إلىٰ السُّلطة أمر ممنوعٌ وحرامٌ ومخالفٌ للديمقراطيَّة أما استفرادهم هم في السُّلطة وطغيانهم... فهو الديمقراطيَّة وهو الواجب. هٰذه هي المعادلة الأقرب لتفسير ما وقع وإن كان في الأمر قول آخر لا ينفصل عن هٰذا القول من جهة المبدأ والنتيجة وهو أنَّ هٰذه المعارضة صنعت في كواليس الأنظمة ومخابراتها. لا تعارض بَيْنَ الأمرين علىٰ أي حال فمن الممكن أن يكون معاً، وقد وجدنا من الأدلة ما يفسر الأمرين معاً.

صدر من كتب المؤلف

- أعاجيب السياسة الأمريكية؛ مقالات سياسية . دار الفكر الفلسفي . دمشق . ٢٠٠٨م.
- أسس التوثيق؛ نحور نظرية عربية في التوثيق . دار الفكر الفلسفي . دمشق . ٢٠١١م.
- آفاق التغير الاجتماعي والقيمي؛ الثورة التقانية والتغير القيمي . الفكر الفلسفي . دمشق . ٢٠٠٥م.
- الأمم المتحدة بين الاستقلال و الاستقالة و الترميم . مكتبة دار الفتح . دمشق . ١٩٩٣م.
- أَميرة النَّار والبحار (شعر) – دار الأصالة للطباعة . دمشق . ١٩٩٧م.
- أَنا صدى الليل (شعر) . دار الأَصالة للطباعة – دمشق – ١٩٩٥م.
- أنا لست عذري الهوى (شعر) . دار الأصالة للطباعة . دمشق . ١٩٩٩م.
- أنا والزمان خصيمان . دار الفكر الفلسفي . دمشق . ٢٠٠٥م.
- أنا وعيناك صديقان (شعر) دار الأصالة للطباعة . دمشق . ٢٠٠١م.
- أُنشودة الأَحزان (شعر) – دار الأصالة للطباعة – دمشق . ١٩٩٦م.

- انهيار أسطورة السلام؛ مصير السلام العربي الإسرائيلي . ط١: مكتبة دار الفتح . دمشق . ١٩٩٦م. ط٢: دار الفكر الفلسفي . دمشق . الطبعة الثانية ٢٠٠١م.
- انهيار الشعر الحر – دار الثقافة – دمشق (ط١) ١٩٩٤م. ـ دار الفكر الفلسفي . دمشق – (ط٢) ٢٠٠٣م.
- انهيار دعاوى الحداثة ؛ الحداثة ضرورة تاريخيَّة لا خيار سياسي – دار الثقافة – دمشق – ١٩٩٥م.
- انهيار مزاعم العولمة؛ قراءة في تواصل الحضارات وصراعها . اتحاد الكتاب العرب . دمشق . ٢٠٠٠م.
- انهيار النظام العربي . دار أنهار . بيروت . ٢٠١٤م.
- بديع الكسم . وزارة الثقافة . دمشق – ١٩٩٤م.
- بشرية عمياء عرجاء؛ مقالات سياسية . دار الفكر الفلسفي . دمشق . ٢٠٠٩م.
- تصنيف المقولات الجمالية . حدوس وإشراقات للنشر . عمان . ط٢، ٢٠١٣م.
- تطوير التعليم العالي؛ الواقع والمشكلات والمقترحات . دار الفكر الفلسفي . دمشق . ٢٠٠٧م.
- تفجيرات أيلول وصراح الحضارات؛ الولايات صنعت الحدث لتصنع المستقبل . دار إنانا . دمشق . ٢٠٠٣م.

- تمهيد في علم الجمال . جامعة تشرين . اللاذقية . ٢٠٠٧م.
- الثوار والمعارضة والثورة السورية . دار أنهار . بيروت . ٢٠١٤م.
- الثورة السورية والمؤامرة الكونية . دار أنهار . بيروت . ٢٠١٤م.
- الثورة السورية والنظام السوري . دار أنهار . بيروت . ٢٠١٤م.
- الجمال وعلم الجمال . حدوس وإشراقات للنشر . عمان . ط٢، ٢٠١٣م.
- الحداثة بين العقلانية واللاعقلانية . دار الفكر الفلسفي . دمشق . ١٩٩٩م.
- الحرب على الدولة الإسلامية . دار أنهار . بيروت . ٢٠١٤م.
- خطر نجاح الإسلام في السلطة . دار أنهار . بيروت . ٢٠١٤م.
- الدخيل على المصلحة (قصص) – ن . م – دمشق – ١٩٩٣م.
- دفاع عن الفلسفة ؛ الفلسفة ثرثرة أَم أُمُّ العلوم ؟ – دار الأصالة للطباعة . دمشق . ١٩٩٤م.
- رئيس وأربعة فراعين .. دار أنهار . بيروت . ٢٠١٤م.
- شظايا على الجداران (خواطر) دار الأصالة للطباعة . دمشق . ٢٠٠٧م.
- العالم على البركان . دار أنهار . بيروت . ٢٠١٤م.
- العالم في مواجهة الإسلام . دار أنهار . بيروت . ٢٠١٤م.
- عالم مجنون؛ المضحك المبكي في السياسة الأمريكية . دار الفكر الفلسفي . دمشق . ٢٠٠٨م.

- العرب أعداء أنفسهم؛ مقالات سياسية . دار الفكر الفلسفي . دمشق . ٢٠٠٤م.
- العرب جثة تنهشها الكلاب؛ مقالات سياسية . دار الفكر الفلسفي . دمشق . ٢٠٠٩م.
- عفيف البهنسي والجمالية العربية . وزارة الثقافة . دمشق . ٢٠٠٨م.
- علم الجمال الإعلاني . دار حدوس وإشراقات . عمان/ الأردن . ٢٠١٣م.
- علم الجمال المعلوماتي: نحو نظريَّة جديدة . دار الأصالة للطباعة . دمشق . ١٩٩٤م.
- عواد من دون عود (قصص) – دار الأصالة للطباعة – دمشق – ٢٠٠٧م.
- غاوي بطالة (قصص قصيرة) – دار الأصالة للطباعة . دمشق . ١٩٩٦م.
- فلسفة الفن و الجمال عند ابن خلدون – دار طلاس – دمشق – ١٩٩٣م.
- فلسفة الفن والجمال عند التوحيدي . وزارة الثقافة . دمشق . ٢٠٠٦م.
- فلسفة الأخلاق عند الجاحظ . اتحاد الكتاب العرب . دمشق . ٢٠٠٥م.
- في انتظار حمقاء (قصص قصيرة) . دار الأًصالة للطباعة . دمشق . ٢٠٠٥م.
- فيلا وعلبة حلاوة (قصص قصيرة جداً) – دار الأصالة للطباعة – دمشق – ٢٠٠٧م.
- قراءات في فكر بديع الكسم . دار الفكر الفلسفي . دمشق . ١٩٩٨م.

- قراءات في فكر عادل العوا . دار الفكر الفلسفي . دمشق . ٢٠٠١م.
- قضايا الفكر العربي المعاصر . جامعة تشرين . اللاذقية . ٢٠٠٧م.
- كتابة البحث؛ المفاهيم والقواعد والأصول . دار الفكر الفلسفي . دمشق . ٢٠١١م.
- كيف ستواجه أمريكا العالم؟ . دار السلام للطباعة . دمشق . ١٩٩٢م.
- لا تعشقيني (شعر) – دار الأصالة للطباعة . دمشق . ١٩٩٤م.
- لبنان والمشروع الأمريكي؛ قراءة في الأزمة اللبنانية وتداعياتها . دار إنانا . دمشق . ٢٠٠٥م.
- لبنان بَيْنَ حربين؛ الأزمة اللبنانية بَيْنَ الداخل والخارج . دار الفكر الفلسفي . دمشق . ٢٠٠٧م.
- لوحات من ألم الثورة . دار أنهار . بيروت . ٢٠١٤م.
- مختارات من دارسي التراث العربي . وزارة الثقافة . دمشق . ٢٠٠٧م.
- المدخل إلى عصر النهضة العربية . جامعة تشرين . اللاذقية . ٢٠٠٦م.
- المذاهب الاقتصادية الكبرى . جامعة تشرين . اللاذقية . ٢٠٠٨م.
- المذاهب الجمالية . جامعة تشرين . اللاذقية . ٢٠٠٦م.
- مكيافيليَّة ونيتشويَّة تربوية: نحو سلوك تربوي عربي جديد . دار الفكر الفلسفي . دمشق . ١٩٩٨م.
- من رسائل أبي حيان التوحيدي . وزارة الثقافة . دمشق . ٢٠٠١م.

- من يسمم الهواء؛ ظاهرة السرقة في عالمي الفكر والأدب . دار الفكر الفلسفي . دمشق . ٢٠٠٥م.
- الموت من دون تعليق (قصص قصيرة جداً) – دار الأصالة للطباعة . دمشق . ١٩٩٤م.
- النظام الاقتصادي العالمي الجديد . مكتبة دار الفتح . دمشق . ١٩٩٣م .
- النظام الاقتصادي العربي؛ واقع ومشكلات ومقترحات . ط١: دار إنانا . دمشق . ٢٠٠٥م. ط٢: دار إنانا ٢٠١٠م.
- نهاية الفلسفة . دار الفكر الفلسفي . دمشق . ١٩٩٩م.
- هؤلاء أَساتذتي : من رواد الفكر العربي المعاصر في سوريا – دار الثقافة – دمشق – ١٩٩٤م.
- هؤلاء أَساتذتي : من رواد الفكر العربي المعاصر في سوريا (ط٢) – دار الفكر الفلسفي – دمشق – ٢٠٠٣م.
- همس الهوى (خواطر) دار الأصالة للطباعة . دمشق . ٢٠٠٨م.
- وظيفة الفن . حدوس وإشراقات للنشر . عمان . ٢٠١٣م.

الفهرس

الإهداء ٠٠٥
مقدمة الكتاب ٠٠٧
الفصل الأول: أصول المعارضة السياسية..... ٠١٣
مقدمة ٠١٥
وعي الانتماء..... ٠١٧
العمل بمقتضى وعي الانتماء ٠١٧
تقبل الآخر..... ٠١٩
تحريك الجمود..... ٠٢٢
التنافس الخلاق..... ٠٢٤
المشروعية والوجوب..... ٠٢٦
تحديد الهوية وإشهارها ٠٢٨
العلاقة مع السلطة ٠٢٩
مشروعية المعارضة ٠٣٥
المعارضة والديكتاتورية والديمقراطية ٠٣٧
خاتمة ٠٤٠
الفصل الثاني: المعارضة العربية أكبر كذبة ٠٤٣
مقدمة ٠٤٥
لماذا اليسار العربي عدو الشعب والحرية؟..... ٠٤٦

مثقفو السلاطين..... ٠٤٩
الهزال من المثقف والشعب..... ٠٥١
معارضة أعجب من العجب..... ٠٥٣
معارضة أم مصافعة..... ٠٥٧
غوغائية المعارضة السورية والعربية ٠٦٢
المعارضة والطائفية والعرقية..... ٠٦٦
محمد حسنين هيكل لم يسقط ٠٦٩
خاتمة ٠٧٠
الفصل الثالث: من تجليات خيانة المعارضة العربية..... ٠٧٣
مقدمة ٠٧٥
المعارضة العراقية بداية الفضيحة..... ٠٧٧
المعارضة المصرية تنقض علىٰ الثورة..... ٠٨١
المعارضة التونسية تنقلب علىٰ الثورة..... ٠٨٤
المعارضة السورية تحارب الثورة..... ٠٨٧
عقلية الأمة..... ٠٩٣
خاتمة ٠٩٨
صدر من كتب المؤلف ١٠١
الفهرس..... ١٠٧

THE CRUMBLE OF ARAB OPPOSITION VALUES

BY BROF. Dr.
EZZAT ASSAYED AHMAD

Historical And Political Study

Publisher

The Araboc World for publishing

Amman. 2015

Emil: sameah3@gmail.com

THE CRUMBLE OF ARAB OPPOSITION VALUES

BY BROF. Dr.
EZZAT ASSAYED AHMAD

الدكتور عزت السيد أحمد

الدكتور عزت السيد أحمد

انهيار قيم المعارضة العربية

قراءة سياسية تاريخية

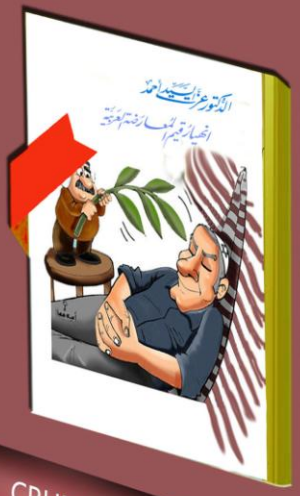

CRUMBLE OF ARAB OPPOSITION VALUES
Political Study
By Prof. Dr.
Ezzat Assayed Ahmad

The Arab World for Publishing

هذا الكتاب

ظلت المعارضة العربية عشرات السنين تنفخ رأسنا بالبطولات والانتقادات والدعوات الكثيرات إلى الاحتجاجات والثورات على الفساد والاستبداد وعلى الأنظمة من أجل اقتلاعها من جذورها من دون رحمة ولا شفقة

ظلت المعارضة العربية من المحيط إلى الخليج عشرات السنين الماضية وهي تحدثنا هن بطولاتها في مواجهة السلطة ومقارعتها وعن مطاردة السطلة لها وملاحقتها واعتقالها وراحت تحدثنا عن السجون والمعتقلات ونشأ أدب المعتقلات العربي

وعندما جد الجد وثار الشعب لم نجد أحداً منهم يقف مع الثورات، بل الأدهى من ذلك أنهم وقفوا مع الأنظمة في محاربة الشعب والثورة... بل أكثر من ذلك، عندما انتصرت الثورة قادوا الانقلاب عليها وإعادوا الأنظمة البائدة

الناشر